

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ



محفوظ جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٤ م

■ هوية الكتاب

الكتاب: سلسلة القرآن يهدي ج ٥:

السخرية والاستهزاء قتلٌ للشخصية ووأدٌ للمسؤولية

تدبر موضوعي مقتبس من موسوعة (من هدى القرآن) لـ:

ساحة آية الله العظمى المرجع الديني

السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله).

إعداد وتحرير: الشيخ أبو الفضل اليماني

تحقيق: مركز القرآن يهدي للدراسات القرآنية

الناشر: دار المحجة البيضاء - لبنان - بيروت

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - E-mail: almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com info@daralmahaja.com





السخرية و الاستهزاء

قتل للشخصية و أذى للمسؤولية

تدبر موضوعي مقتبس من موسوعة (من هدى القرآن)

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى

الشيخ محمد تقي الخميني

إعداد و تحرير

الشيخ أبو الفضل اليماني

اللَّهُمَّ اقْرَأْ لِي
الْقُرْآنَ كُلَّهُ

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾



تقديم سماحة آية الله العظمى المرجع الديني السيد محمد تقي المدرّسي (دام ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

لو فكّرتُ أنا، ولو فكّرنا نحن، هل تشملنا شكوى

الرسول ﷺ حيث ينادي ربّه يوم القيامة ويقول:

﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(١).

إذاً لاستبدّ بنا الجزع، ولعل الكآبة، وعقدنا العزم مجدداً أن

نتلو كتاب ربنا سبحانه حقّ تلاوته، فنقرأ ما تيسر منه آناء

الليل وأطراف النهار، ونتدبّر في آياته الكريمة، ونطبّقها على

أنفسنا أولاً.

(١) سورة الفرقان، الآية ٣٠.

هكذا كان السابقون، إذا مرّوا بآية فيها ذكر النار انتفضوا منها لكي لا يكونوا من أهلها، وإذا قرؤوا آية فيها ذكر الجنة سألوا ربهم أن يتفضل عليهم بها، وإذا مرّوا بحكمةٍ أو وصيةٍ أو حكمٍ، عقدوا العزم على أن ينفذوا مفاده في واقعهم.. لعلهم يكونون ممن قال عنهم ربهم تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(١).

وعند التدبّر في القرآن ترانا بحاجة إلى استجماع فكرنا جيداً والتأمل في كلّ كلمة، وفي كلّ جملة، وفي كلّ آية، وهي تحتوي على جملات عادة.

وثمّ نساءل: ما علاقة هذه الآية وما فيها من بصائر بما قبلها وبعدها؟

وهكذا -وعبر ما نسميه بالتدبّر السياقي- قد يوفقنا ربنا تعالى في استيعاب حصيلته من المعاني.

والسؤال هل انتهى بنا المطاف إلى هنا؟

لعل هناك مرحلة أخرى هي التي نسميها بالتدبّر الموضوعي، أليس كتاب ربنا يصدّق بعضه بعضاً؟ وهكذا

(١) سورة الأنفال، الآية ٢.

وعبر التفكر في كل موضوع مستفاد من آية أو من سياق آيات وذلك عبر سياقات مختلفة في كتاب ربنا تعالى قد يوفّقنا الله تعالى للمزيد من البصائر، وإليك الأمثلة التالية:

١- الصراط المستقيم

ألسنا ندعو ربنا كل يوم وعند تلاوة سورة الحمد أن يهدينا الصراط المستقيم، ونقول:

﴿هُدًى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾؟

فمن هم الذين أنعم ربنا عليهم؟ للإجابة نتلو في سورة النساء الآيات التالية:

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَأْتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(١).

(١) سورة النساء، الآيات ٦٦ - ٦٩.

وهكذا نعرف صفات الذين أنعم الله عليهم من الطاعة التامة لله والرسول، ونسعى بالتوكل على الله من أجل أن نتبعهم.

ويبقى السؤال: فمن هم المغضوب عليهم؟ ثم من هم الضالون؟

فيذا قرأنا قوله سبحانه في سورة البقرة في الآية ٦١ عن صفة اليهود سنعرف من هم المغضوب عليهم:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(١).

وعن الضلالة والضالين نقرأ في سورة الأعراف:

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة، الآية ٦١.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٣٠.

٢- أقل مدة الحمل

لقد استدلَّ الإمام علي عليه السلام على أنَّ أقل مدة الحمل ستة أشهر، وذلك بقراءة آيتين من كتاب الله سبحانه، حيث جاء في آية كريمة:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾^(١).

وقال تعالى في آية أخرى:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَوَضْعُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٢).

لطائف وإشارات مضيئة

وهكذا كلما تأملنا في القرآن المجيد رأينا -بفضل الله سبحانه- إشارات مضيئة بالجمع بين موضوعاته، سواء في فقه معاني كلماته أو تكامل معانيه.

وها نحن بعد التوكُّل على الله تعالى وبعد أن وفقنا الربِّ سبحانه لاستلهام المزيد من البصائر عبر التدبُّر في سياقات الآيات، والتي كتبنا بعضاً منها في موسوعة (من هدى القرآن) وأيضاً بعد أن سعينا نحو قراءة آيات القرآن وتطبيقها على

(١) سورة البقرة، الآية ٢٣٣.

(٢) سورة الأحقاف، الآية ١٥.

حقائق الواقع المعاصر عبر موسوعة (بينات من فقه القرآن) وُقِّمنا لتشكيل لجنة من العلماء لدراسة موضوعات مختلفة مما جاء في هاتين الموسوعتين وأيضاً ما جاء في موسوعة (التشريع الإسلامي) بالاستعانة بالله تعالى وبالاستئارة بالأحاديث المأثورة عن النبي ﷺ وعن أهل بيته الأئمة الهداة عليهم السلام، وإخراجها في موسوعة جديدة للتدبر الموضوعي، وقد تباركنا باسم قرآني حيث سمينا هذه الموسوعة -التي نرجو أن تكون أوسع وأجمع مما سبق- بعنوان (القرآن يهدي)^(١) رجاء الحظوة بفضل ربنا عز وجل في الهداية.

علماً بأن هناك سبباً جعلنا نمضي قدماً في مسارين اثنين في هذه الموسوعة: جملاً وجوامع، فما هما؟

ألف: جمل التدبر الموضوعي

بما أن الكثير من الناس اليوم يبحثون عن كلمات مختصرة، ولا يتحملون عبء دراسات مفصلة فقد أعد الأخوة الكرام في (مركز القرآن يهدي للدراسات القرآنية) منظومة من الأحاديث القرآنية التي وفقنا الرب سبحانه لإلقائها على فضلاء الحوزة العلمية في مدينة كربلاء المقدسة، وبعد

(١) جاء في الآية ٩ من سورة الإسراء: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَيِّنُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

إعدادها وتقديمها للجمهور أصبحت مساراً مميّزاً في طريق التدبر الموضوعي.

باء: جوامع التدبر الموضوعي

وتعتبر الجوامع هذه بمثابة دراسات قرآنية تشمل المزيد من البصائر من هدى القرآن وضيء السنة الشريفة، وهي تنفع بإذن الله سبحانه للباحثين في الحقائق الدينية، والتي نرجو أن ينفع الله تعالى بها المؤمنين وبالأخص علماء الحوزات العلمية وأساتذة الجامعات. والله المستعان.

محمد تقي المدرسي

كربلاء المقدسة ١٧ ربيع الأول ١٤٤٥ هـ

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

حينما تواجه حقيقة تصدمك، حيث إنها تخالف أهواءك، أو تعارض ثقافتك، أو ترى أنها تحمّلك مسؤولية كبرى، في هذه الحالة أمامك طريقان؛ إما أن تتوكّل على الله وتتقبل الحقيقة بكلّ رحابة صدر وتستعد لها، وإما أن تعارضها وتكفر بها، في هذه الحالة ربّما يدعوك الشيطان للاستهزاء بها والسخرية منها.

وهكذا يبدو أنّ السخرية من الحقائق والاستهزاء بها تعتبر قاع الضياع الذي قد يصل إليه الإنسان، وربّنا سبحانه وتعالى

بيّن في كتابه الكريم -الذي جاء نوراً وهدى- في آيات شتى، قصص الذين سخرُوا من الحقائق واستهزؤوا بها كيف كانت عاقبتهم؟

ونحن في هذه الدراسة القرآنية نسعى من أجل أن نعرف آفاق السخرية بالحقائق والاستهزاء بالرسول وبالذعة إلى الله، لعلنا نستطيع أن نواجه هذه العقبة الكأداء ولا نقع في شرك الشيطان الذي دائماً يدعونا إلى مواجهة الحقائق الكبرى ببعض الكلمات الرذيلة التي لا تشبع ولا تغني من جوع.

ولحظة من التفكير الجدّي بأنني أنا هو ذلك الإنسان الذي خلقني الله سبحانه وتعالى في أحسن تقويم وأكرمني وحملني في البر والبحر، وسخّر لي ما في الأرض ووعدني أعلى درجات القرب منه. كيف أضيع نفسي بكلمة سخرية واحدة؟ كيف أتهرب من قبول الحقيقة عبر الاستهزاء بمن يطرحها عليّ؟

كلا إن الطريق السليم هو أن أكرم نفسي وأتوكّل على ربّي وأتقبل الحقيقة، ومن ثمّ أتجاوز عقبة كبيرة ولعلها من أعقد وأصعب العقبات التي تعترض طريق الإنسان نحو الإيمان بالحقّ.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لاستيعاب حقائق هذه الدراسة بعد التدبّر فيها وفي آياته الكريمة حتى نتحصن

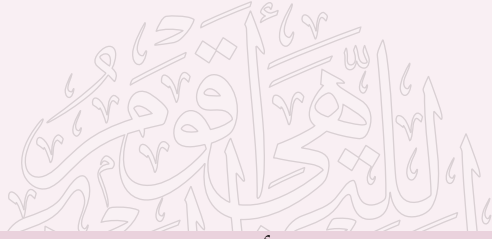
ضدّ هذه العقبة الكأداء التي تعترض الكثيرين حينما يُدعون إلى الإيمان ويستهنئون به، أو بمن يدعوهم إليه ظلماً لأنفسهم، وظلمات للحقيقة.

نسأل الله التوفيق والله المستعان وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.



الفصل الأول:

معنى السخرية و الاستهزاء



خلاصة الفصل الأول

الاستهزاء هو:

- السخرية الظاهرة، بالكلام وربّما اتخاذ الموضوع مادة للتلهية عملياً كتقليد حركات الصلاة استهزاءً، أو أداء الصلاة نفاقاً^(١).
- وهو محاولة مفضوحة للتأثير على البسطاء عن طريق تهوين القيم الرساليّة في أعينهم^(٢).
- وهو انعدام الإحساس بالمسؤولية^(٣).

(١) من هدى القرآن، ج ٢، ص ١٤٢.

(٢) من هدى القرآن، ج ٢، ص ١٤٢.

(٣) من هدى القرآن، ج ٥، ص ٢٦٨.

١

ما هي السخرية والاستهزاء؟

لغة:

- السخرية: يقال سَخِرَ منه وبه أي هزئ به^(١).
- الاستهزاء: مصدر قولهم: استهزأ يستهزئ، يقال: هَزَأَ منه وهَزِئَ به، أي: سَخِرَ منه^(٢).

اصطلاحاً:

- السخرية هي: محاكاة أقوال الناس أو أفعالهم أو صفاتهم وخلقهم، قولاً وفعلاً، أو إيحاءً وإشارةً، على وجه يُضحك منه. وهو لا ينفك عن الإيذاء والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص، وإن لم يكن بحضرة المستهزأ به، فيتضمن الغيبة أيضاً، وقد حرّمها الشرع لإيجابها العداة وإثارة البغضاء، وإفساد العلاقات الودّية بين أفراد المؤمنين...^(٣)

(١) القاموس المحيط، ص ٤٠٥ - لسان العرب، ج ٤، ص ٣٥٢.

(٢) القاموس المحيط، ص ٤٠٥ - لسان العرب، ج ٤، ص ٣٥٢ - تاج العروس، ج ١، ص ٥٠٩.

(٣) جامع السعادات، ج ٢، ص ٢٢١.

- **الاستهزاء:** هو السخرية الظاهرة، بالكلام واللعب، واتخاذ الشيء مادة للتلهية عملياً كتقليد حركات الصلاة استهزاءً، أو أداء الصلاة نفاقاً^(١)؛ وهو محاولة مفضوحة للتأثير على البسطاء عن طريق تهوين القيم الرسالية في أعينهم^(٢)؛ وهو انعدام الإحساس بالمسؤولية^(٣)، ولعل هذا التعريف هو أعم التعاريف، لأن انعدام المسؤولية تعني أن الإنسان يعيش اللامبالاة تجاه كل القضايا، ويظن أنه ليس مسؤولاً عن أعماله.

(١) من هدى القرآن، ج ٢، ص ١٤٢.

(٢) من هدى القرآن، ج ٢، ص ١٤٢.

(٣) من هدى القرآن، ج ٥، ص ٢٦٨.

٢

ما الفرق بين السخرية والاستهزاء؟

الفرق بين السخرية والاستهزاء حسب الاستعمال القرآني أن السخرية خاصة في أفراد الإنسان، قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾^(٣).

والاستهزاء أعم حيث يشمل الإنسان وغير الإنسان، قال تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾^(٤)، وقال

(١) سورة هود، الآية ٣٨.

(٢) سورة التوبة، الآية ٧٩.

(٣) سورة ص، الآيات ٦٢ - ٦٤.

(٤) سورة الجاثية، الآية ٩.

تعالى: ﴿قُلْ أِبَاللّٰهِ وَايَاتِهِ وِرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ﴾^(١).

قال العلامة المجلسي: (والفرق بين السخرية والهزاء أنّ في السخرية معنى طلب الدلّة لأنّ التسخير التذليل، وأمّا الهزاء فيقتضي طلب صغر القدر بما يظهر في القول)^(٢).

(١) سورة التوبة، الآية ٦٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٧.



الفصل الثاني:

أسباب السخرية و الاستهزاء



خلاصة الفصل الثاني

لماذا يصبح الإنسان من الساحرين المستهزئين؟

- **أولاً:** عندما نُلقِي نظرة في الآيات القرآنيّة التي تتحدث عن أسباب الاستهزاء نستلهم منها أنّها ترجعنا إلى الكفر، ذلك لأنّ الكافر لا يعترف بقيود تردعه عن تجاوزاته، فتجد أنّهم يستهزئون بالله ورسله بل بالناس في ألوانهم وأشكالهم ومناطقهم وكلّ ما يرتبط بهم.
- **ثانياً:** القرآن الكريم يذكر صفات شتى للمنافقين من أبرزها أنّهم يقولون: آمنا وما هم بمؤمنين، لذلك فهم يحاولون جهدهم أن يبالغوا في بعض مظاهر العبادات يريدون خداع الله والمؤمنين، بينما الحقيقة أنّهم يخادعون أنفسهم؛ لأنّهم يبدوون بتصور

أثم استطاعوا أن يضمّنوا الدين الحقيقي مع عدم خسرانهم للدنيا ولشهواتها؛ وذلك لأنهم يبدؤون بزعم أنّ أعمالهم (القشرية) هي الدين، فيفرغون الدين من معانيه ويخترعون له معنى جديد، فيمنعون عن أنفسهم الفوائد الكبيرة التي يعطيها الدين الحقيقي لو أنهم التزموا به.

وبسبب الانعزال النفسي عن المجتمع وعن عقله وتجاربه يستهزئون بأعمال المجتمع ويتصورونها تصوراً معكوساً، وبذلك يعزلون أنفسهم عملياً عن المجتمع، إذ لا يساهمون في نشاطاته التي لا تعود بالنفع على المجتمع فقط بل عليهم أيضاً لو عملوا بها.

يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾^(١).

- **ثالثاً:** مفردات لهو الحديث في النصوص كثيرة تشير إلى بعضها الرواية المأثورة عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «هُوَ الطَّغْنُ فِي الْحَقِّ وَالاسْتِهْزَاءُ بِهِ، وَمَا كَانَ أَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُهُ يَجِئُونَ بِهِ، إِذْ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ

(١) سورة البقرة، الآية ١٤.

أَلْأَطْعَمَكُمْ مِنَ الرِّزْقِ الَّذِي يُخَوِّفُكُمْ بِهِ صَاحِبُكُمْ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى زَبْدٍ وَتَمْرٍ، وَقَالَ: هَذَا هُوَ الرِّزْقُ الَّذِي يُخَوِّفُكُمْ بِهِ». قال أبو عبدالله عليه السلام: «وَمِنْهُ الْغِنَاءُ»^(١).

• رابعاً: كيف يمكن اجتثاث جذور الشقاق الاجتماعي؟
لعله بالنهي عن السخرية بالآخرين حيث يقول ربنا:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾^(٢)،
ويخاطب المؤمنين ربنا لأن هذه الصفة لا تتناسب
وإيمانهم بالله، أو ليس الإيمان بالله يعني مواجهة
المقاييس المادية في تقييم الآخرين وبالتالي تطهير النفس
من عبادة المال والبنين والشهرة وما أشبه ذلك.. مما
يسبب التفاخر.

وهكذا حين ينهى ربنا عن السخرية يواجه جميع هذه
المقاييس لأنها الخطوة الأولى في طريق النهاية.

(١) تفسير الصافي، ص ١٣٩.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١١.

لصفة السخرية والاستهزاء جذر في النفس وهو مرتبط بالجانب الظلماني منها، وفي هذا الفصل سوف نتطرق لبعض هذه الجذور والأسباب التي توصل الإنسان إلى مرحلة السخرية من الآخرين وأهمّها:

١. الكفر.
٢. النفاق.
٣. الكبر والجهل.
٤. عدم احترام الآخرين.

١

الكفر

لماذا لا يُنزل ربنا العذاب على الناس حتى يبتدوا؟

لأنَّ المطلوب هو أنَّ يبتدي الناس بعقولهم وإرادتهم، ودور رسالات الله عزَّ وجلَّ هو دور التبشير والإنذار، وليس دور الجبر والحسم.

قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.

يريد الكفار أن يهدموا كيان الحق بسلاح الباطل، ولما كانوا لا يقدرّون على ذلك، فإنهم يتخذون سلاحاً آخر هو سلاح الاستهزاء، وهو أخطر سلاح يستخدمه الإنسان في مقاومة الحقيقة، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾^(١).

تكمّن خطورة هذا السلاح في ناحيتين:

- فمن جهة حينما يستهزئ الإنسان بالحقيقة، فإنّه لا

(١) سورة الكهف، الآية ٥٦.

يمكنه أن يهتدي بها أبداً.

- ومن جهة ثانية حينما يستهزئ بها، فلا يمكن لأحد أن يضرب له مثلاً، أو يأتي له بدليل على تلك الحقيقة لكي يقنعه بها.

من هنا فإننا عندما نُلقِي نظرة في الآيات القرآنيّة التي تتحدّث عن أسباب الاستهزاء نستلهم منها أنّها ترجعنا إلى الكفر؛ وذلك لأنّ الكافر لا يعترف بقيود تردعه عن تجاوزاته، فتجد أنّهم يستهزئون بالله ورسله وأنبيائه وبالناس في ألوانهم وأشكالهم ومناطقهم وكلّ ما يرتبط بهم.

والروايات الشريفة حدّرت من الخوض في أمر الاستهزاء لأنّ عاقبته وخيمته؛ ففي الحديث عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَادَى مُنَادٍ أَيْنَ الصُّدُودُ لِأَوْلِيَائِي، فَيَقُومُ قَوْمٌ لَيْسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ لَحْمٌ، فَيُقَالُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آذَوْا الْمُؤْمِنِينَ، وَنَصَبُوا لَهُمْ وَعَانَدُوهُمْ وَعَتَقُوهُمْ فِي دِينِهِمْ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ»^(١).

(١) وسائل الشيعة، ج٨، ص ٥٨٧.

٢

النفاق

لكي نفهم كيف أنّ النفاق يُعتبر سبباً من أسباب الاستهزاء فإنّ علينا معرفة من هم المنافقون؟

إنّ القرآن الكريم يذكر لهم صفات شتى من أبرزها أنّهم يقولون: آمنا وما هم بمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَمِنُ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

ولأنّ المنافقين يضمرون الكفر تحت غطاء الإيمان، يحاولون جهدهم أن يبالغوا في بعض مظاهر العبادات يريدون خداع الله والمؤمنين بينما الحقيقة أنّهم يخادعون أنفسهم؛ لأنّهم يبدؤون بتصور أنّهم استطاعوا أن يضمّنوا الدين الحقيقي مع عدم خسرتهم للدنيا ولشهواتها؛ وذلك لأنّهم يبدؤون بزعم أنّ أعمالهم (القشرية) هي الدين، فيفرغون الدين من معانيه ويخترعون له معنى جديد، فيمنعون عن أنفسهم الفوائد

(١) سورة البقرة، الآية ٨.

الكبيرة التي يعطيها الدين الحقيقي لو أنهم التزموا به .

لهذا يقول الله تعالى: ﴿يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(١)، ثم يفصل الله القول في الخداع الذاتي الذي يمارسه المنافقون بلاوعي منهم ويقول:

• **أولاً:** إنهم يكرسون -بعملية النفاق- مرض الجبن والهزيمة، واللا إرادة في أنفسهم. كل ابن آدم مبتلى في قلبه بهذه الأمراض، ولكن المنافق يكرسها حتى يبني حياته كلها على هذه الشاكلة. فهو يعيش شخصيتين داخليّة وظاهرية، وبينهما تضيق إرادته وقدرته على التحقق والمبادرة، فكيف إذا صبغت حياته كلها بالكذب ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ من الجبن والاستسلام .. ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ بتكريس تلك الأمراض.

ثم إن هؤلاء لا يمكنهم أن يعيشوا مطمئنين لأنهم يعيشون الخوف والقلق وخشية الافتضاح، وهذا يسبب لهم عذاباً أليماً، يأتيهم بسبب الكذب الذي صبغت به حياتهم كلها.

إن الواحد قد يكذب كذبة واحدة فيعيش في القلق

(١) سورة البقرة، الآية ٩.

الدائم خوف اكتشاف كذبه، ويفكر أبدأً في طرق إخفاء الكذب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^(١).

● **ثانياً:** تختلط عندهم مقاييسهم العقلية (بسبب مضايقتهم لهدى الله، وبسبب توتر شخصيتهم)، ولذلك يتوغلون في الفساد ويزعمون أنه الصلاح بذاته، ولأنهم يعيشون العزلة نفسياً عن المجتمع من حولهم فهم لا يستطيعون أن يستفيدوا من نصائح الآخرين، أو تتكامل أفكارهم عن طريق التفاعل مع أفكار الآخرين.

لذلك قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(٢).

بينما الحقيقة غير ذلك، إن هؤلاء أصبحوا أعضاء فاسدين في المجتمع، ولكنهم فقدوا المقياس الذي عن طريقه يستطيع المرء اكتشاف الفساد من غيره فهم لا يشعرون ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة، الآية ١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ١١.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢.

وعبر القرآن بـ (الشعور) ولم يعبر بـ (العقل)، فلم يقل (ولكن لا يعقلون) لكي يبين لنا بأن القضايا البسيطة التي لا تحتاج إلى التفكير والتعقل (كالتمييز بين الفساد والصالح) لم يعد يفهمها المنافق، فكيف بالقضايا المعقدة.

إنّ الشرط الأول للعلم بأية حقيقة هو الثقة بالذات وبالمقاييس العقلية التي يملكها الإنسان، والنفاق يفقد صاحبه هذه الثقة فلا يعرف شيئاً.

- **ثالثاً:** إثم يتمحورون حول أعمالهم فيحسبون أنها هي الحقّ وغيرها الضلال والباطل، وبذلك يتهمون الناس بالسفه، ويضيّعون على أنفسهم فرصة الانتفاع بآراء الناس وتجاربهم.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾، ولكن من هو السفه الحقيقي؟ أليس هو ذلك الذي يضيع على نفسه فرصة الإيمان وفرصة الانتفاع بتجارب الآخرين؟ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وبسبب الانعزال النفسي عن المجتمع وعن عقله

(١) سورة البقرة، الآية ١٣.

وتجاربه يستهزئون بأعمال المجتمع ويتصوّرونها تصوراً معكوساً، وبذلك يعزلون أنفسهم عملياً عن المجتمع، إذ لا يساهمون في نشاطاته التي لا تعود بالنعف على المجتمع فقط بل عليهم أيضاً لو عملوا بها، قال ربّنا سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾^(١).

عن الإمام الكاظم عليه السلام: «يَا هِشَامُ بِنَسِ الْعَبْدِ عَبْدٌ يَكُونُ ذَا وَجْهَيْنِ، وَذَا لِسَانَيْنِ؛ يُطْرِي أَخَاهُ إِذَا شَاهَدَهُ، وَيَأْكُلُهُ إِذَا غَابَ عَنْهُ، إِنْ أُعْطِيَ حَسَدَهُ، وَإِنْ أُبْتَلِيَ خَذْلَهُ، وَإِنْ أَسْرَعَ الْخَيْرِ ثَوَاباً الْبُرِّ، وَأَسْرَعَ الشَّرِّ عُقُوبَةً الْبُغْيِ، وَإِنَّ شَرَّ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ تَكْرَهُ مُجَالَسَتَهُ لِفُحْشِهِ، وَهَلْ يَكْتُبُ النَّاسُ عَلَىٰ مَنَآخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ السِّتِّهِمْ، وَمَنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرَكَ مَا لَا يَغْنِيهِ»^(٢).

وهذه النفسيّة المعقدة تسبّب لهم ضياع فرص الهداية لهم إلى الأبد، إذ كلّموا سمعوا كلاماً فسروه تفسيراً سلبياً واستهزؤوا به فبأي شيء يهتدون؟

(١) سورة البقرة، الآية ١٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ١، ص ١٥٠.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحذركم أهل التفاق؛ فإنهم الصَّالُونَ الْمُضِلُّونَ، وَالزَّالُونَ الْمُزِلُّونَ، يَتَلَوْنُونَ الْوَأْنَآ، وَيَفْتَنُونَ افْتِنَانَا، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ، وَيَرْضُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ، قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وَصَفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ. يَمْشُونَ الْخَفَاءَ، وَيَدْبُونَ الصَّرَاءَ. وَصَفُهُمْ دَوَاءٌ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وَفَعْلُهُمْ الدَّاءُ الْعِيَاءُ، حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، وَمُوكَدُّو الْبَلَاءِ، وَمُقْنِطُو الرَّجَاءِ، لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيحٌ، وَإِلَى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ، يَتَفَارِضُونَ الثَّنَاءَ وَيَتَرَاقِبُونَ الْجَزَاءَ، إِنْ سَأَلُوا الْحَفْوَ، وَإِنْ عَدَلُوا كَشَفُوا، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا، قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحًا، يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ وَيَنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ. يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ، وَيَصِفُونَ فَيَمُوهُونَ. قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ، وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ، فَهُمْ لَمَّةُ الشَّيْطَانِ وَحَمَّةُ التَّيْرَانِ، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾»^(١).

من هنا قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٢) أي يعمون عن الحقيقة فلا يرونها، حيث يظلمون في حالة تردد وحيرة دائمة. ويسمي القرآن

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٧.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٥.

النفاق هنا طغياناً لأنّه لا ينشأ إلا بسبب فقدان العبودية لله والاستسلام لشهوات الذات، وضغوط المجتمع. إذن هناك أربع أزمات يواجهها المنافق بسبب خداعه الذاتي:

١. ازدياد مرضه النفسي والمؤدّي به نحو العذاب الأليم.
٢. توغّله في الفساد.
٣. انفصاله عن خبرات المجتمع وانعزاله في قوقعة ذاته.
٤. ضياع فرصة الهداية إلى الأبد، والعمى النفسي.

٣

الكبر و الجهل

من مميزات السياق القرآني أنه يعرّفنا مختلف المسائل والحقائق بذكر أصدادها؛ فبذكر النار يعرّفنا الجنّة، وبذكر الكفر يعرّفنا الإيمان، نجده هنا أيضاً يحدّثنا عن الحالة المخالفة للإحسان.

فمثلاً: هناك من ينفق في سبيل الله من أجل الهداية، وهو بالتالي يمهد أرضية الهدى لنفسه بإحسانه وإنفاقه، وهناك من ينفق في سبيل الضلال ويشترى لهو الحديث.

كلاهما يعطي من نفسه وماله، ولكن هذا للهدى، وذاك للضلال، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(١).

ولكن لماذا يكون الضلال هدف هؤلاء حتى إنك تجدهم يشترى ﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾؟

(١) سورة لقمان، الآية ٦.

لأنهم يرون الحق يناقض أنانياتهم، تماماً بعكس المحسنين الذين يرون الحق محورهم، وقلب الإنسان لا يمكن أن يكون فارغاً أبداً، فإذا لم يملأه بالإيمان والعلم، فسيكون بيتاً للهو والانحرافات.

واللهو هو القول والعمل الذي يخلو من أي هدف، وهو في النهاية يعود إلى الإنسان بالخسران، فهو لا يشتري اللهو بدراهم معدودة، إنما يدفع من أجله عمره الغالي وما يملك من فرص، ومثال ذلك الذي يشتري كتب الضلالة والمجون، ومن الطبيعي أن يتعد هذا الإنسان عن آيات الله ويرفضها.

﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ على عكس المحسنين الذين يهتدون بالآيات ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾، وهذه من أخطر المراحل التي يصل إليها البشر في الضلال. ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لاستهزائهم بآيات الله، واستكبارهم عليها. والملاحظ أن السياق ربط بين الإحسان والهدى، ولكنه لم يسمه (شراء الهداية) بينما سمي الإنفاق في سبيل الضلال (بشراء هو الحديث) وذلك لأن الهداية من الله، وهي أعز من أن تشتري.

كما إن هناك مفارقة بين الكتاب الحكيم وبين هو الحديث، كما بين الهدى للمحسنين والضلال لمن يشتري هو الحديث.

ومفردات لهو الحديث في النصوص كثيرة تشير إلى بعضها
 الرواية المأثورة عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال:
 «هُوَ الطَّعْنُ فِي الْحَقِّ وَالِاسْتِهْزَاءُ بِهِ، وَمَا كَانَ أَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُهُ
 يَجِيئُونَ بِهِ، إِذْ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَلَا أُطْعِمُكُمْ مِنَ الزُّقُومِ الَّذِي
 يُخَوِّفُكُمْ بِهِ صَاحِبُكُمْ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى زَيْدٍ وَتَمْرٍ وَقَالَ: هَذَا
 هُوَ الزُّقُومُ الَّذِي يُخَوِّفُكُمْ بِهِ». قال أبو عبدالله عليه السلام: «وَمِنْهُ
 الْغِنَاءُ»^(١).

(١) تفسير الصافي، ج ٤، ص ١٣٩.

٤

عدم احترام الآخرين

بدء فساد العلاقة بين الإنسان ونظيره تضاؤل قيمة الإنسان
 كإنسان في عينه، وأنئذ لا يحترم الناس بعضهم، ويبحث الكلّ
 عن منقصة في صاحبه يسخر منه بها، ويدّعي لنفسه مكرمة
 يفتخر بها، بينما لو أنصفنا أنفسنا لعرفنا أنّ سر احترامنا
 لأنفسنا هو أننا بشر نملك العقل والإرادة، ونتحسس بالألم
 واللذة، ونتحلى بالحبّ والعواطف الخيرة، أفلا توجد كلّ هذه
 في أبناء آدم جميعاً، فلماذا أطالب باحترام الناس لي، ولا أجد
 لأحد حرمة؟

تعالوا ننظر لحظة ببصائرنا؛ حين أسخر من إنسانٍ نظير لي
 في مجمل صفاته، أفلا يعني ذلك أنّي أسخر من نفسي أيضاً؟
 بلى، الذين يكفرون بقيمة الإرادة والعقل والحبّ والعواطف
 في أنفسهم هم الذين يكفرون بها في غيرهم ثمّ يسخرون
 منهم. إنهم ينسلخون من إنسانيتهم ثمّ يسمحون لأنفسهم
 بانتهاك حرّمات غيرهم.

ولهذا نجد روايات أهل البيت عليهم السلام تقف أمام هذه الحالة،
روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته للحسن عليه السلام قال:

«يَا بُنَيَّ فَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ
غَيْرِكَ، وَأَحِبَّ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، لَا
تُظْلِمَ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ،
وَاسْتَبْجِحْ لِنَفْسِكَ مَا تَسْتَبْجِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ مَا
تَرْضَى لَهُمْ مِنْكَ»^(١).

كيف يمكن اجتثاث جذور الشقاق الاجتماعي؟

لعلّه بالنهي عن السخرية بالآخرين حيث يقول ربّنا
سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾^(٢)،
ويخاطب المؤمنين ربّما لأنّ هذه الصفة لا تتناسب وإيمانهم
بالله، أو ليس الإيمان بالله يعني مواجهة المقاييس الماديّة في
تقييم الآخرين وبالتالي تطهير النفس من عبادة المال والبنين
والشهرة وما أشبه ذلك.. مما يسبب التفاخر.

وهكذا حين ينهى ربّنا عن السخرية يواجه جميع هذه
المقاييس، لأنّها الخطوة الأولى في طريق النهاية. كيف؟
إنّ من أعظم مفاخر البشر ومزاياه صفة الحياء، حيث

(١) مستدرک الوسائل، ج ١١، ص ٣١١.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١١.

يتحسس الإنسان بفطرته النقية أنّ للآخرين حرمة لا بدّ أن يؤدّيها إليهم، ومن ملك الحياء لا يفكر في تجاوز الآخرين، فكيف يفكر في اغتصاب حقوقهم والاعتداء عليهم؟

وهكذا يسعى الشيطان لإزالة صفة الحياء، وحث الإنسان إلى الاستهانة بالآخرين، وتصغير قدرهم، والتصوير بأنهم أقلّ منه فيحق له إذا تجاوز حقوقهم بل الاعتداء عليهم.

وهنا يقف القرآن الكريم له بالمرصاد، فيأمر بالتمسك بالحياء والإبقاء على صفة احترام الآخرين حتى يقضي على التفكير في الجريمة.

أرأيت كيف يسمح المستكبرون لأنفسهم بارتكاب المذابح الجماعية بحقّ المستضعفين، ومنعهم من حقوقهم من أدنى درجات الحياة؟

هل فكّرت يوماً كيف انسلخ أولئك البشر عن إنسانيتهم واندفعوا في مثل هذه الجرائم؟

إنّهم في البدء سخروا منهم وقالوا نحن أبناء الله، نحن الشعب المختار، نحن ذوو البشرة البيضاء اختارنا الله لحكم هؤلاء الذين لم يؤتوا من الذكاء والعقل نصيباً مذكوراً.

وهكذا كونت الثقافة العنصرية أرضية الجريمة بحق الشعوب.

ولعل التعبير القرآني هنا يعكس طبيعة الاستهزاء عند الرجال، حيث إنهم يفتخرون عادة بتجمعهم ويسخرون من سائر الناس.

فترى أهل هذا الحي يقولون مَنْ مثلنا؟ أو أهل هذا النادي، أو ذلك الحزب، أو هذا المصر، أو ذلك الإقليم، إنهم يفتخرون بما لديهم ويفرحون بما أوتوا من نصيب الدنيا فيسخرون ممن لا يملك ذلك حتى ولو ملك ما هو أفضل منه.

أمّا النساء فتجري مفاخرتهن في أمور شخصيّة كالجمال والزينة أو النسب أو السبب.

وأساس الاستهزاء بالآخرين عُجب كلِّ قومٍ بما يملكون من ميزات، وفرحهم بها، ثمّ تعاليهم على من سواهم بذلك، ولعل ميزات الآخرين أعظم وأنفع للناس وأبقى عند الله، لذلك ذكرنا الربّ سبحانه بالالتفات إلى هذه الحقيقة، حيث قال ربّنا سبحانه: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾^(١).

وفي حديث ماثور عن رسول الله ﷺ نقرأ أنّ من علامات عقل المرء تركه التعالي على الناس، هكذا روي عن أبي جعفر عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: «لَمْ يُعْبَدِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

(١) سورة الحجرات، الآية ١١.

بشيءٍ أفضل من العقل، ولا يكون المؤمن عاقلاً حتى تجتمع فيه عشر خصالٍ:.... والعاشرة: لا يرى أحداً إلا قال: هو خيرٌ مِنِّي وأنتي، إنما الناس رجُلان: فرجُلٌ هو خيرٌ منه وأنتي، وآخرٌ هو شرٌّ منه وأدنى، فإذا رأى من هو خيرٌ منه وأنتي تواضع له ليلحق به، وإذا لقي الذي هو شرٌّ منه وأدنى، قال: عسى خيرٌ هذا باطنٌ، وشرُّه ظاهرٌ، وعسى أن يُختم له بخيرٍ؛ فإذا فعل ذلك فقد علا مجده وساد أهل زمانه»^(١).

وفي رواية أخرى قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتم ثلاثة في ثلاثة؛ كتم رضاؤه في طاعته، وكتم سخطه في معصيته، وكتم وليه في خلقه، فلا يستخفن أحدكم شيئاً من الطاعات فإنه لا يدري في أيها رضا الله، ولا يستقلن أحدكم شيئاً من المعاصي فإنه لا يدري في أيها سخط الله، ولا يُزرين أحدكم بأحدٍ من خلق الله فإنه لا يدري أيُّهم وليُّ الله»^(٢).

وجاء في سبب نزول الآية الكريمة: أن ثابت بن قيس بن شماس، وكان في أذنه قرٌّ، وكان إذا دخل المسجد تفسحوا له حتى يقعد عند النبي ﷺ فيسمع ما يقول، فدخل المسجد يوماً والناس قد فرغوا من الصلاة وأخذوا مكانهم فجعل يتخطى رقاب الناس يقول: تفسحوا تفسحوا، حتى انتهى إلى

(١) بحار الأنوار، ج ١، ص ١٠٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١٤٧.

رجلٍ فقال له: أصبت مجلساً فاجلس، فجلس خلفه مغضباً، فلمّا انجلت الظلمة قال: من هذا؟ قال الرجل: أنا فلان، فقال: ثابت بن فلانة، ذكر أمّاله كان يعيرُ بها في الجاهلية، فنكّس الرجل رأسه حياءً فنزلت الآية^(١).

وعن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ﴾: نزلت في نساء النبي ﷺ يسخرن من أم سلمة بنت أنس، وذلك أنّها ربطت حقويها بسبينية، وهي ثوب أبيض، وسدلت طرفيها خلفها، وكانت تجر، فقالت عائشة لحفصة: انظري ماذا تجر خلفها كأنه لسان كلب، فهذا كانت سخريتها، وقيل إنّها عيرتها بالقصر وأشارت بيدها أنّها قصيرة عن الحسن^(٢).

وفي تفسير علي بن إبراهيم: أنّ الآية نزلت في صفية بنت حي بن أخطب، وكانت زوجة رسول الله ﷺ، وذلك أنّ عائشة وحفصة كانتا تؤذيانها وتشتمانها وتقولان لها يا بنت اليهودية، فشكت ذلك إلى رسول الله ﷺ.

فقال لها: «**الْأَتُجِينَهُمَا**».

فقالت: بماذا يارسول الله؟

قال ﷺ: «**قُولِي أَبِي هَارُونَ نَبِيَّ اللَّهِ، وَعَمِي مُوسَى كَلِيمَ اللَّهِ،**

(١) بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٥٣.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٢٢٧.

وزوجي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَمَا تُنْكِرَانِ مِنِّي».

فقال لهما، فقالتا هذا علمك رسول الله ﷺ .

فأنزل الله في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ..﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(١).

(١) تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٢٢.



الفصل الثالث:

أنواع السخرية و الاستهزاء



خلاصة الفصل الثالث

- **أولاً:** مشكلة الكافر في سخريته من الرسل هي استخفافه بالحق واستهزؤه به، والسبب هو: أن الكافر لا يعرف مدى أهمية الحق في حياته، وإن علينا أن نبين له تلك الأهمية من خلال بيان تجارب التاريخ.
- **ثانياً:** من جملة الامتحانات التي امتحن الله بها خلقه في هذا العصر قد تكون امتحانهم بغيبة الإمام المهدي عليه السلام، كما امتحن بني إسرائيل بغيبة موسى عليه السلام، فسقط البعض وثبت البعض، وهو ما أكده كليم الله موسى عليه السلام كما حكى القرآن عنه بقوله: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾^(١).

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٥.

• **ثالثاً:** رسالات الله تدعو إلى العقل، والعقل إمام الإنسان الذي يقوده إلى الأمام أبداً، والذي يفكّ به البشر قيود التقليد، وأغلال الجمود، لذلك كانت تصطدم الرسالات الإلهية بالتقاليد حيث كانوا يعرضون عنها ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ إثم تشبثوا بالماضي واستهزؤوا بالمحدث، فكذبوا بالرسالة، وسيأتيهم خبرها أنّها ستعلو على باطلهم، وسيندمون ولكن عبثاً؛ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١).

• **رابعاً:** لكي يصنع الإسلام سداً منيعاً بين المجتمع الإسلامي، والمجتمعات الجاهلية، حتى لا يتلى المجتمع بازودواجية الولاء، يجرم اتخاذ غيرهم أولياء من أولئك الذين يتخذون الدين الإسلامي هزواً ولعباً، سواء كانوا كفّاراً مشركين أو كانوا من أهل الكتاب، ويأمرهم بالتقوى والخوف من الله، والحذر من عقابه.

• **خامساً:** حين ينادي المؤدّن بالصلاة ترى هؤلاء يستهزئون بها ويتغامزون بينهم، ويقولون لبعضهم:

(١) سورة الشعراء، الآية ٦.

انظروا إلى المسلمين يتركون أعمالهم لأداء شيء غير نافع، وهذا مثلٌ ظاهر لما ذكرت في الآية السابقة: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١).

• **سادساً:** من مشاكل الإنسان تجاه الحقائق الكبيرة أنه لا يستوعبها إلا إذا اتصف المرء بسعة الأفق، وكلما كان العقل كبيراً كان صاحبه أقدر على اكتساب المعرفة، وبالتالي عقل الحقائق، ويقول الإمام عليّ عليه السلام: «يَا كَمِيلَ بْنَ زِيَادٍ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا»^(٢).

والعاقل حينما يصغي للحقائق أو يشاهدها يتعجب منها ولكنه يصدقها، مثلاً تراه لا يكذبك لو قلت له بأنّ الدلفين يستخدم الآن في عمليات التجسس، أو أنّ العلم الحديث اخترع جهازاً فلق به رأس البعوضة. أمّا الجاهل فهو لا يكذب الحقائق وحسب، بل ويستهزئ بصاحبها، ويسخر منه.

• **سابعاً:** قد تكون السخرية لأسباب ماديّة مثل قلّة

(١) سورة المائدة، الآية ٥٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٤٧.

المال لأن المعيار عند هؤلاء معيار زائف، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اسْتَدَلَ مُؤْمِنًا أَوْ مُؤْمِنَةً، أَوْ حَقَّرَهُ لِفَقْرِهِ وَقِلَّةِ ذَاتِ يَدِهِ، شَهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَفْضَحُهُ»^(١).

(١) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٤٤.

السخرية ليست مقتصرة على نوع واحد لأنّ المستهزئين تاريخياً تفننوا في سخريتهم من الحقّ وأهله بأنواع مختلفة ومن تلك الأنواع:

١. السخرية والاستهزاء بالربّ تعالى.
٢. السخرية والاستهزاء بالأنبياء والمرسلين ﷺ.
٣. السخرية والاستهزاء بالإمام المهدي ﷺ.
٤. السخرية والاستهزاء بالآيات والكتب السماوية.
٥. السخرية والاستهزاء بالدين وما يتصل به.
٦. السخرية والاستهزاء بالصلاة.
٧. السخرية والاستهزاء بالمساجد.
٨. السخرية والاستهزاء بالأحكام الشرعيّة.
٩. السخرية والاستهزاء بالحقائق.
١٠. السخرية والاستهزاء من المؤمنين.
١١. السخرية والاستهزاء بالعذاب.

١

السخرية والاستهزاء بالربّ تعالى

قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(١).

إنّ هؤلاء يزعمون أنّ مقياس الحقّ والباطل هو الثروة، ويتهكّمون على المؤمنين، ويقولون: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾، ولذلك يقبل الفقراء. وهم يعادون الرسالة إلى درجة حمل السلاح في وجه الأنبياء ﷺ، واقتراف جريمة القتل بحقهم، وكلّ هذه الأعمال دليل على أنّ الثروة ليست مقياس التقرب إلى الله بل أعدّ الله لهؤلاء عذاباً يحرقهم.

من الأفكار الخرافية الفاسدة التي شاعت عند اليهود أنّهم يقولون: يد الله مغلولة، وأنّه خلق الخلق ثمّ تركه دون قدرة على تغيير أو تطوير، وبهذه الفكرة ألغوا دور الدين في الحياة، ودور الإيمان بالله والتوكّل عليه في بناء الحضارات.

(١) سورة آل عمران، الآية ١٨١.

ولأنّ اليهود زعموا بأنّ قدرة الله محدودة فإنهم جمدوا وتخلّفوا، لأنّ الإيمان بقدرة الله الواسعة ينعكس على البشر انطلاقاً وتقدماً، لأنّه يستتبع الإيمان بلا محدودية الإمكانيات عند البشر المؤمن المتصل ببحر قدرة الله التي لا تحد، ولذلك قال ربّنا: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، فالذي يتصور الحياة بصورة جامدة لا تتطور إلى الأفضل، والذي لا يؤمن بقدرة الله على إنقاذه من ويلاته هو مغلول اليدين، والذي لا يتوكّل على الله هو الآخر مغلول اليدين يعيش أبداً في أحوال الرجعيّة والتخلّف.

٢

السخرية والاستهزاء بالأنبياء والمرسلين ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١).

مشكلة الكافر في سخريته من الرسل هي استخفافه بالحق واستهزائه به، والسبب هو: أن الكافر لا يعرف مدى أهمية الحق في حياته، وإن علينا أن نبين له تلك الأهمية من خلال بيان تجارب التاريخ.

ولقد أصبحت سخرية الناس من الأنبياء ﷺ والمصلحين عادة عند جميع الأمم والشعوب قال الله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٢)، ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾^(٣).

(١) سورة الأنعام، الآية ١٠.

(٢) سورة يس، الآية ٣٠.

(٣) سورة الذاريات، الآيات ٥٢-٥٣.

نماذج من الأنبياء الذين تعرّضوا للسخرية

١. نبيّ الله نوح عليه السلام

فهذا نبيّ الله نوح عليه السلام استهزأ به قومه حينما كانوا يمرّون عليه وهو يصنع السفينة، قال الله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ وَكَلَّمَ مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾^(١).

عن ابن أبي عمير عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«بَقِيَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَلَمْ يُجِيبُوهُ فَهَمَّ أَنْ يَدْعُو عَلَيْهِمْ فَوَافَاهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ قَبِيلٍ مِنْ قَبَائِلِ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَهُمْ الْعُظَمَاءُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ لَهُمْ نُوحٌ: مَا أَنْتُمْ؟ فَقَالُوا: نَحْنُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ قَبِيلٍ مِنْ قَبَائِلِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِنَّ غِلْظَ مَسِيرَةِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا خَمْسِمِائَةَ عَامٍ، وَمِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا إِلَى الدُّنْيَا مَسِيرَةٌ خَمْسِمِائَةَ عَامٍ، وَخَرَجْنَا عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَوَأْفَيْنَاكَ فِي هَذَا الْوَقْتِ، فَتَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَدْعُو عَلَيَّ قَوْمِكَ.

فَقَالَ نُوحٌ عليه السلام: قَدْ أَجَلْتُهُمْ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ، فَلَمَّا آتَى عَلَيْهِمْ سِتُّمِائَةَ سَنَةٍ وَلَمْ يُؤْمِنُوا هَمَّ أَنْ يَدْعُو عَلَيْهِمْ فَوَافَاهُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ

(١) سورة هود، الآية ٣٨.

قَبِيلٍ مِنْ قَبَائِلِ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَقَالَ نُوحٌ: مَنْ أَنْتُمْ؟
 قَالُوا: نَحْنُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ قَبِيلٍ مِنْ قَبَائِلِ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ،
 وَغَلِظُ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَمِنَ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ
 إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَغَلِظُ السَّمَاءِ مَسِيرَةَ
 خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَمِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا إِلَى الدُّنْيَا مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ
 عَامٍ، مِنَ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ إِلَى الدُّنْيَا مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، خَرَجْنَا
 عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَوَاثِنَاكَ ضُحُوًّا نَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَدْعُو عَلَيَّ
 قَوْمِكَ.

فَقَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَدْ أَجَلْتُهُمْ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِمْ
 تِسْعِمِائَةَ سَنَةٍ وَلَمْ يُؤْمِنُوا هَمَّ أَنْ يَدْعُو عَلَيْهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:
 ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا
 كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١).

فَقَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿..رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ
 دَيَّارًا ۖ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا
 كَفَّارًا﴾^(٢)، فَأَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَغْرِسَ النَّخْلَ فَأَقْبَلَ يَغْرِسُ النَّخْلَ،
 فَكَانَ قَوْمُهُ يَمْرُونَ بِهِ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، وَيَقُولُونَ: شَيْخٌ
 قَدْ أَتَى لَهُ تِسْعِمِائَةَ سَنَةٍ يَغْرِسُ النَّخْلَ، وَكَانُوا يَزْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ.

(١) سورة هود، الآية ٣٦.

(٢) سورة نوح، الآيات ٢٦-٢٧.

فَلَمَّا أَتَى لِدَلِكِ خَمْسُونَ سَنَةً وَبَلَغَ النَّخْلُ وَاسْتَحْكَمَ أَمْرٌ
بِقَطْعِهِ، فَسَخِرُوا مِنْهُ وَقَالُوا: بَلَغَ النَّخْلُ مَبْلَغَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ:
﴿وَلَمَّا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ
تَسَخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسَخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَرُونَ ﴿٢٨﴾ فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ..﴾^(١).

فَأَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ السَّفِينَةَ، وَأَمَرَ جَبْرَيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ
وَيُعَلِّمَهُ كَيْفَ يَتَّخِذُهَا، فَقَدَّرَ طُولَهَا فِي الْأَرْضِ أَلْفًا وَ مِائَتِي
ذِرَاعٍ، وَعَرَضُهَا ثَمَانِمِائَةَ ذِرَاعٍ، وَطُولَهَا فِي السَّمَاءِ ثَمَانُونَ ذِرَاعًا،
فَقَالَ: يَا رَبِّ مَنْ يُعِينُنِي عَلَى اتِّخَاذِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِ،
نَادِ فِي قَوْمِكَ: مَنْ أَعَانَنِي عَلَيْهَا وَنَجَرَ مِنْهَا شَيْئًا صَارَ مَا يَنْجُرُهُ
ذَهَابًا وَفِضَّةً، فَنَادَى نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمْ بِذَلِكَ فَأَعَانُوهُ عَلَيْهِ، وَكَانُوا
يَسَخَرُونَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ: يَتَّخِذُ سَفِينَةً فِي الْبَرِّ^(٢).

٢. نبي الله إبراهيم عليه السلام

وهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام استهزأ به طاغية زمانه النمرود،
قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ
آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ
أَنَا أْحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ

(١) سورة هود، الآيات ٣٨-٣٩.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٣٥٠.

الْمَشْرِقِ فَأَتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»^(١).

عن البنزطي عن أبان بن عثمان عن حُجر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «خَالَفَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام قَوْمُهُ وَعَابَ آلِهَتَهُمْ حَتَّى أَدْخَلَ عَلَى نُمْرُودَ فَخَاصَمَهُمْ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾».

وقال أبو جعفر عليه السلام: «عَابَ آلِهَتَهُمْ وَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ»، قال أبو جعفر عليه السلام: «وَاللَّهُ مَا كَانَ سَقِيمًا وَمَا كَذَبَ، فَلَمَّا تَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ إِلَى عِيدِ لَهُمْ دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلَى آلِهَتِهِمْ بِقُدُومٍ فَكَسَرَهَا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ، وَوَضَعَ الْقُدُومَ فِي عُنُقِهِ، فَرَجَعُوا إِلَى آلِهَتِهِمْ فَنَظَرُوا إِلَى مَا صُنِعَ بِهَا، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ مَا اجْتَرَأَ عَلَيْهَا وَلَا كَسَرَهَا إِلَّا الْفَتَى الَّذِي كَانَ يَعِيْبُهَا وَيَبْرَأُ مِنْهَا، فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ قِتْلَةً أَعْظَمَ مِنَ النَّارِ؛ فَجُمِعَ لَهُ الْحَطْبُ وَاسْتَجَادُوهُ حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمَ الَّذِي يُحْرَقُ فِيهِ بَرَزَ لَهُ نُمْرُودُ وَجُنُودُهُ، وَقَدْ بُيِّنَ لَهُ بِنَاءُ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِ كَيْفَ تَأْخُذُهُ النَّارُ، وَوَضِعَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي مَنْجَنِيْقٍ،

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٨.

وَقَالَتِ الْأَرْضُ: يَا رَبِّ لَيْسَ عَلَيَّ ظَهْرِي أَحَدٌ يَعْبُدُكَ غَيْرُهُ يُحْرَقُ
بِالنَّارِ، قَالَ الرَّبُّ: إِنَّ دَعَانِي كَفَيْتُهُ»^(١).

٣. نبي الله لوط عليه السلام

ولقد كانت السخرية صفة من صفات قوم لوط، ففي حديث عن النبي ﷺ كما تنقله أم هاني أنه قال مفسراً للمعنى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ الْمُنْكَرِ﴾^(٢)، أنهم كانوا يخذفون من يمرّ بهم ويسخرون منه^(٣)، أي يرمون من يمرّ بهم بالحجارة ويسخرون منه.

٤. نبي الله موسى عليه السلام

نبي الله موسى عليه السلام استهزأ به فرعون ذلك الطاغية الذي ادّعى الربوبية، قال الله تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(١) أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مهينٌ ولا يكادُ يبِينُ^(٢) فلو لا ألقى عليه أسورةٌ من ذهبٍ أو جاء معه الملائكةُ مُقترنين^(٣) فاستخفَّ قومه فأتاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين^(٤).

(١) بحار الأنوار، ج ١٢، ص ٤٤.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٢٩.

(٣) تفسير القرطبي، ج ١٣، ص ٣٠٣.

(٤) سورة الزخرف، الآيات ٥١-٥٤.

حينما خشي فرعون من انتشار الدعوة بين قومه استدرك الأمر بإثارة الشهوات في أنفسهم ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ كيف نادى كل أهل مصر الذين كانوا قومه؟ هل جمع الملاء منهم فنادى فيهم؟ أم أنه بث الشائعات عبر أجهزة إعلامه، ووسائل دعايته، كالسحرة والكهنة ومن أشبهه؟

لعل هذا أقرب إلى معنى النداء في قومه، حيث يظهر أنه أبلغ كل قومه بكلامه هذا ﴿قَالَ يَا قَوْمِ﴾، فأثار فيهم النخوة والعصبية حيث ناداهم بأنهم قومه ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾، وهكذا احتج عليهم بأنه ملكهم الشرعي فلا بد من طاعته. أوليس يملك القوة والمنعة؟

ثم احتج عليهم بأنه يملك ناصية القدرة الاقتصادية أيضاً، قائلاً: ﴿وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾، فهو المنظم للري الذي بأمره تجري الأنهار المتفرعة من النيل، التي قيل بأنها كانت تبلغ ٣٦٠ كم، وكانت تروى منها زراعتهم.

وقد قالوا: إن الحضارة النهرية تدعو إلى النظم والاستقرار أكثر من غيرها، لأن حياة أهلها قائمة على حسن توزيع المياه. ولعل السياق يشير إلى ذلك حيث لمّح فرعون بأن الرسالة تهدد النظام الذي يهيئ توزيع المياه، ولذلك قال المفسرون إن معنى ﴿مِن تَحْتِي﴾ هو بأمرى وسلطتي، وهو تعبير بالغ الروعة.

ولا ريب أن الإصلاح في المجتمعات المستقرة - كذلك المجتمع - أشد صعوبة ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، لماذا لم يقل: (أفلا تعقلون)، أو (تفكرون)؟ لأنه يدعوهم إلى رؤية الظاهر، أمّا إذا دعاهم للتفكير فسوف يكتشفون بأنه ليس سوى بشر عادي مثلهم، وإنما سيطر عليهم بجهلهم. ولو عقلوا عرفوا أن ملك مصر لله، ثم لمن عمرها، وأنّ فرعون يستحقّ منهم أشدّ العذاب على استغلالهم مالياً، والتسلط عليهم سياسياً، بلا تخويل منهم، ولا تفويض من عند الله، فكيف يطالبهم بأجر، ويمنّ عليهم، لأنّه طغى عليهم، وانتهب ثرواتهم؟! ثمّ استهزأ برسول الله إليهم، وأخذ يقيّم حقائق رسالات ربّ العالمين بالمعيار المادي، وكيف أنّ موسى ﷺ مستضعف، وأنّه لا يفصح قولاً، ولا يملك شرفاً: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ مستضعف، وراعي غنم لا ذكر له.

وهذه عادة الطغاة أن يستصغروا الرسل والدعاة إلى الله.

فلقد سمعنا قصّة إبراهيم ﷺ وقومه لما جعل الأصنام جذاذاً حين قالوا تصغيراً: ﴿سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾^(١).

(١) سورة الأنبياء، الآية ٦٠.

ثم أخذ يقيس موسى ﷺ بما يملكه من ثروة أو سلطة.

وهكذا يقيس الجاهليون الناس بالغنى والقوة، لا بالصلاح والخير ﴿فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾ الأسورة جمع السوار ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾، وإذا لم يكن ذا مال، فلتأت معه الملائكة متقارنين يعاضد بعضهم بعضاً، كالجنود المجندة التي يملكها هو.

وجاء حديث شريف عن أمير المؤمنين ﷺ قال: «لَقَدْ دَخَلَ مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ ﷺ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونَ ﷺ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَ لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ.

فَقَالَ: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرَطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أَلْقَىٰ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةً مِّنْ ذَهَبٍ، إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ.

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الدِّهْبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَعَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِينَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُتَبَتِّلِينَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَاتِبَهَا،

وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنَى، وَخَصَاصَةً تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَدَى.

وَلَوْ كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لِاتْرَامٍ، وَعِزَّةٍ لِاتِّصَامٍ، وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوُهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّجَالِ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْإِعْتِبَارِ وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الْإِسْتِكْبَارِ، وَلَا مَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتْ النَّيِّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُفْتَسِمَةً.

وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصَدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالْخُشُوعُ لَوَجْهِهِ، وَالْإِسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالْإِسْتِسْلَامُ لَطَاعَتِهِ، أُمُورًا لَهُ خَاصَّةً لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِئَةٌ، وَكُلَّمَا كَانَتْ الْبَلْوَى وَالْإِخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتْ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ^(١).

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ﴾ لقد جرّد فرعون قومه من ثقل العقل والإيمان، بما أثار فيهم من حبّ الشهوات الرخيصة، فأطاعوه، لأنّ الإنسان حينما يملك العقل والإيمان فإنّه سيكون رصيناً وموزوناً، لا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف، بينما إذا فقدته كان كريشة تتقاذفها الرياح.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢.

ويبدو أنّ المقارب المقابل للخفة هو الرشد. لما يتطلب الرشد من تمييز بين الحسن والقيح، والخفة تُضَيِّع التمييز كأنّه معدوم بسبب اتباع الهوى.

والسؤال عن ضياع الرشد وقدرة الطاغوت على الاستخفاف بالعقول. في هذا المقطع الذي يتحدث فيه عن المجتمع القبطي أشار إلى ما يلقي بعض الضوء، فلتأمل الأمور الآتية:

• **ألف: الضحك والاستهزاء من الدعوة الجديدة: فإنّ الكفار يلهون أنفسهم بأعمال لا هدف لها ليعرضوا عن سماع الحقّ.**

واللعب عموماً سمة البشر العامة في الحياة الدنيا، إذ إنّه يميل إلى عدم الجد والاجتهاد، قال الله تعالى:

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾^(١).

وملامح هذه العقلية غير الجادة السادرة في الترف واللهو تتداعى لتنتج ما سجلته الآيات من نكث

(١) سورة الأنبياء، الآيات ٢-٣.

بالوعد؛ حيث تعهدوا بالإيمان إن كشف موسى ﷺ عنهم العذاب، وذلك أنّ ثقافة اللهو تستخف بحرمات و حقوق الآخرين، و تنتج من جهة أخرى التكذيب و الاستهزاء بالنذر و الحقائق التي يُذكّرون بها.

• **باء: المقاييس الماديّة في تقييم الذات و الآخرين و سائر الأشياء:** حيث القيمة لأسباب المال و القوّة لا الخير و الحقّ.

• **جيم: التفكير السطحي:** فبين ثقافة اللهو و مقاييس المادة سيكون الوعي و النظر سطحيّاً لا يتجاوز ظواهر الأمور.

فالمجتمع القبطي كان نخبة المجتمعات المتعلّمة و رائدها و مع ذلك تعاملوا بسطحية مع نبيّ الله موسى ﷺ؛ كانوا يعرفون التاريخ و كانوا يدركون قصص الأمم السابقة و سر المدينة و القوّة، و كانوا يدركون أنّ تلك الأمم أصابها الانحراف و كذّبت الأنبياء ﷺ فلم تنفعها قوتها، فلم لا يعتبرون؟! كان الهوى و الشهوة يوجب أضرارهم فلا ترى إلّا ظواهر الأمور الماديّة و الآنيّة العاجلة، فلم يمتلكوا نظراً ينفذ للمستقبل و التبصر بعواقب الأمور.

كانت الغرائز والعصبيات تحكم سجونها على عقولهم،
وتحجب معها العقول الفطرية والقيم الأخلاقية
والعقلانية التي أودعها الله في الإنسان لتكون ميزاناً.
وإنما الطاغوت يستثير الشهوات والحميات الجاهلية
جاعلاً من مجتمعه قطعاً من الهمج الرعاع.

ولقد كان فرعون -شأن كل الطغاة- يعرف أن منطق
العقل والعلم والفطرة يؤيد موسى عليه السلام، ولكنه
انحرف عنه إلى إثارة العصبيات، والتلويح بالإرهاب
والإغراء، وبالتالي إزاغة الناس من عقولهم الرصينة
إلى شهواتهم الخفيفة.

لقد قال فرعون وأجهزة إعلامه: لماذا لا يلبس موسى
أسورة من ذهب، ويدعم منطقَه بجنود من الملائكة؟
واليوم تقول أجهزة الفراعة الجدد: ما قيمة شُرذمة
من المؤمنين الرساليين، إنهم لا يملكون قوّة ولا مالاً؟
بلى؛ ولكنهم يدعون إلى الله، والله هو القوي الغني.

ولكن من الذي يتبع دعايات الظالمين، ويخضع
لإعلامهم؟ إننا هم الفاسقون. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
فَاسِقِينَ﴾ ﴿سَلَّمُوا أَنفُسَهُمْ لِلْبَاطِلِ فَنَفَسُوا عَنِ الْحَقِّ،
لَأَنَّهُمْ لَمْ يُرَبُّوا أَنفُسَهُمْ مِنْذُ الْبَدْءِ عَلَى التَّسْلِيمِ لِلْحَقِّ،
فَكَانَ لَبَدًّا أَنْ يُسَلَّمُوا لِلْبَاطِلِ فَرَعُونَ.

٥. النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ

وَنَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ اسْتَهْزَأَ بِهِ قَوْمُهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا رَأَوْكَ
إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^(١).

تهرباً من الإيمان بالمنطق السليم والدعوة الصادقة ترى البعض يبدأ بالانتقاص من شخصيّة من يحمل ذلك المنطق وتلك الدعوة.

وهكذا شرع الكفار بالاستهزاء بالنبي ﷺ تغطيةً على عجزهم عن محاورته محاورَةً منطقيّةً؛ بل تراهم يحاولون مغالبة أنفسهم التي كادت تستيقظ تحت تأثير الحجج الدامغة. وهكذا جاء استهزاؤهم فراراً من الحقيقة ومن أدلتها الواضحة، التي اخترقت فطرتهم، وأيقظت عقولهم، ولكنهم كابروها وكفروا بها واستهزؤوا بصاحب الدعوة.

وهنا يُطرح التساؤل التالي: أَوَلَمْ يَخْلُقْ رَبُّنَا الْبَشَرَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ فِي جِسْمِهِ وَرُوحِهِ وَعَقْلِهِ، فَلِمَ إِذَا الْكُفْرَ بِالْحَقِيقَةِ وَالِاسْتِهْزَاءَ بِالرُّسُولِ؟

الجواب: لأنّ البشر يتهربون من المسؤولية، فتراهم يُنكرون يوم الجزاء وتختلط عندهم المعايير؛ ولذلك تراهم يُوغِلون في

(١) سورة الفرقان، الآية ٤١.

عنادهم للرسول، غافلين عن أن أصل عنادهم للرسول مردود إلى إنكارهم لإمكانية حدوث يوم القيامة، ذلك اليوم الثقيل الذي يقفون فيه أمام ربهم للحساب العسير وهو - بدوره - ناشئ عن هروبهم من المسؤولية. بلى؛ إن إنكار يوم القيامة يجلب العقول، فأنتى لمن لا عقل له أن يجلس إلى طاولة الحوار المنطقي؟

وهكذا استنكروا نبوة الرسول ﷺ وقالوا: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^(١). إنهم قد اتخذوا لأنفسهم معايير باطلة لتقييم الناس، فاعتقدوا - مثلاً - أن أفضل الناس أغناهم مالاً، ولهذا لم يعترفوا بفضائل الرسول من الشرف الرفيع والصدق والأمانة.. وهكذا استهزؤوا بالنبى ﷺ.

(١) سورة الفرقان، الآية ٤١.

٣

السخرية والاستهزاء بالإمام المهدي عليه السلام

منذ أن يفتح الإنسان عينيه على هذه الدنيا، وإذا به ممتحن بكلّ شيء يتصل به؛ سواءً كان خيراً أم شراً؛ فتراه مرّة يُبتلى بالغنى وأخرى بالفقر، ومرّة بالصحة وأخرى بالسقم، ومرّة بالأمن والاستقرار وأخرى بالهجرة والاضطراب.. وأعظم من هذا وذاك هو الابتلاء بالقيادة.

وعلى هذا من الضروري للإنسان وهو يمارس الحياة ونعمة الوجود أن يعرف أنّ الابتلاء جزء من وجوده دون أن ينفكّ عنه، ومن دونه تصبح حياته بلا روح وبلا هدف.

وبالتأكيد إنّ ربّنا عزّوجلّ حينما سنّ هذه السنّة وفّر للإنسان من جهته الشروط والمستلزمات التي تجعل الإنسان مسؤولاً عن الامتحان؛ فتكون حجّته عليه عندما يفشل ويكفر، ووسيلة لصالحه عندما ينجح ويؤمن.

ومن جملة الامتحانات التي امتحن الله بها خلقه في هذا

العصر قد يكون امتحانهم بغيبة الإمام المهدي عليه السلام، كما امتحن بني إسرائيل بغيبة موسى عليه السلام، فسقط البعض وثبت البعض، وهو ما أكده كليم الله موسى عليه السلام كما حكى القرآن عنه بقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَيْنُ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٢).

ورد في تفسير القمي في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنُ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ قال: «إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَى خُرُوجِ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَرَدُّهُمْ وَنُعَذِّبُهُمْ، لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ» أَنْ يَقُولُوا لِمَ لَا يَقُومُ الْقَائِمُ وَلَا يَخْرُجُ عَلَيَّ حَدِّ الْأَسْتَهْزَاءِ فَقَالَ اللَّهُ: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٣).

فالقضية المهدوية تاريخياً كانت ولا تزال محطاً للسخرية والاستهزاء، ولذا نجد أن الروايات الشريفة قد أوضحت من قبل أكثر من ألف عام ذلك.

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٥.

(٢) سورة هود، الآية ٨.

(٣) بحار الأنوار، ج ٥١، ص ٤٤.

روي عن الفضل بن عمر، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:
 ما علامة القائم؟ قال عليه السلام: «إِذَا اسْتَدَارَ الْفَلَكَ، فَقِيلَ: مَاتَ أَوْ
 هَلَكَ، فِي أَيِّ وَاذٍ سَلَكَ؟» قلت: جعلت فداك، ثم يكون ماذا؟
 قال عليه السلام: «لَا يَظْهَرُ إِلَّا بِالسَّيْفِ»^(١).

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي
 طَالِبٍ عليه السلام إِمَامُ أُمَّتِي، وَخَلِيفَتِي عَلَيْهَا بَعْدِي، وَمَنْ وُلِدِهِ الْقَائِمُ
 الْمُنْتَظَرُ الَّذِي يَمْلَأُ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مِلْتَّ جَوْرًا
 وَظُلْمًا، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ بَشِيرًا، إِنَّ الثَّابِتِينَ عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ
 فِي زَمَانِ غَيْبَتِهِ لَأَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ».

فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله،
 وللقائم من ولدك غيبة؟

قال ﷺ: «إِي وَرَبِّي، ﴿وَلِيْمَحِصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ
 الْكَافِرِينَ﴾، يَا جَابِرُ إِنَّ هَذَا أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، وَسِرٌّ مِنْ سِرِّ اللَّهِ، عَلْتَهُ
 مَطْوِيَةٌ عَنْ عِبَادِ اللَّهِ، فَإِيَّاكَ وَالشَّكَّ فَإِنَّ الشَّكَّ فِي اللَّهِ كُفْرٌ»^(٢).

(١) غيبة النعماني، ج ١، ص ١٥٦.

(٢) كشف الغمة، ج ٢، ص ٥٢١.

٤

السخرية والاستهزاء بالآيات والكتب السماوية

رسالات الله تستثير العقل، وتستنهض الفطرة، وتطهر القلب من رواسب التقليد، وتفك القيود والأغلال التي تمنع الانطلاق، وأولئك الذين يكفرون بها إنّما يعرضون عن ذكرهم، ويتشبثون بالتقاليد البالية، ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ وقد سمى الله القرآن ذكراً لأنه يقوم بدور المنبه للإنسان، كمن يمشي في ظلام وهو يملك مصباحاً غفل عنه، فيأتيه من يذكره بمصباحه مُحَدَّثٍ بالرغم من أن رسالات الله واحدة عبر القرون حتى إن الجاهلين قالوا: إن هي إلا أساطير الأولين، إلا أن الذكر القرآني محدث، وجديد، لماذا؟

- **أولاً:** لأن القرآن جاء بعد هجعة من البشر، حيث فترت علاقاتها بالقيم، فكان ذكراً جديداً.
- **ثانياً:** لأن رسالات الله تدعو إلى العقل، والعقل

إمام الإنسان الذي يقوده إلى الأمام أبداً، والذي يفكّ به البشر قيود التقليد، وأغلال الجمود، لذلك كانت تصطدم الرسالات الإلهية بالتقاليد حيث كانوا يعرضون عنها ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ إتهم تشبّثوا بالماضي واستهزؤوا بالمحدث، فكذبوا بالرسالة، وسيأتيهم خبرها: أئها ستعلو على باطلهم، وسيندمون ولكن عبثاً؛ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١)، ولو نظروا في آيات الله، وعرفوا ربهم من خلالها، وآمنوا بأسمائه الحسنی، لما كذبوا.

لو كانت نظرة الإنسان إلى الخلق من حوله سليمة لعرف صدق رسالات الله، لأئها تعبير صادق عن سنن الله في خلقه. أو ربّما قد يسمعون هذه الآيات ولكنهم يلعبون، قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾^(٢) كلما أتتهم آيات جديدة من ربهم، تذكّرهم بواقعهم ومصيرهم، إذا بهم يتشاغلون عنها بتوافه الأمور، أو يتخذونها لعباً، فلا يتعاملون معها بجدية.

(١) سورة الشعراء، الآية ٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢.

تصوّر أنّك لو مثلت أمام محكمة، وأنت تعتقد بأنّها إمّا أن تحكم عليك بالإعدام، وإمّا أن تبريء ساحتك، كيف تقف في قفص الاتهام، أو ليس متحفّزاً يقظاً، حتى لا تبدر منك كلمة في غير محلّها، لأنّها لحظة حاسمة، أمّا إذا أخذت تدير مسبحة في يدك أو تدخل يديك في جيبيك تبحث عن محتوياته العادية فإنّ ذلك يسمى لعباً.

وكذلك الإنسان في هذه الحياة أشبه ما يكون في قاعة محكمة، وعليه أن ينتظر الحكم عليه بدخول الجنّة أو بورود النار، ولهذا ينبغي عليه أن يأخذ الحياة بجديّة تامّة، ويحسب لأعماله وتصرفاته، وأقواله ألف حساب، وإلا كان من الذين يشملهم قول الله سبحانه: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

﴿لَاهِيَةً فُلُوبُهُمْ﴾ إنّ القلوب اللاهية لا تتقبّل حقائق الحياة، ولا تتفاعل معها، تماماً كالأحجار الصلدة التي كلما صببت عليها الماء فإنّها ترفض أن تحتفظ بقطرة واحدة منه.

﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾^(١).

لماذا كان حديثهم بينهم نجوى؟

لأنّهم يخافون أن يفتضحوا أمام الملأ بسبب ضعف موقفهم

(١) سورة الأنبياء، الآية ٣.

العلمي أمام شواهد الصدق التي تميزت بها الرسالة، ولأنهم انهزموا في واقع أنفسهم أمام قوّة الرسالة، فلم يجدوا بُدّاً من المؤامرة في السرّ ضدها! ولأنّ ادعاءهم بأنّها سحر كان واضح البطلان فاحتاجوا إلى التواطؤ عليه في السر، فالسحر شيءٌ والرسالة شيءٌ آخر، السحر يداعب خيالهم بينما الرسالة تشير عقولهم.

كانوا يجحدون بآيات الله

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١).

عندما يفرُّ الجاحد -لآيات الله- من مسؤولية الاعتراف بالحق، والتسليم له، يلجأ -في زعمه- إلى ركن الغرور بالقوّة والعلم، ويعتقد أنّ ما يملكه من أموال، ومن كيد، ومن مكر يغنيه شيئاً عندما يحرق به خطر الدمار، بسبب كفره بالله ورسالته.

كلا.. إنّ مصير الغابرين من عاد، وشمود، وفرعون وهامان وجنودهما، وغيرهم يكفيننا عبرة بأنّ قدراتنا الماديّة والعلميّة

(١) سورة الأحقاف، الآية ٢٦.

إن هي إلا غرور.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ وما (في قوله: ﴿فِيمَا﴾ بمنزلة الذي، وإن نافية بمنزلة (ما)، والتقدير: ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه أي ما لم نمكنكم فيه، والمعنى: أتهم كانوا أقوى منكم، وأكثر منكم أموالاً، وكذا في قوله تعالى: ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾^(١)، وإذا كانت قوتهم الشديدة لم تمنعهم من عذاب الله فلا ينبغي أن يظنوا أنهم بمأمن من العذاب.

وهكذا كانت الإمكانيات التي سُخِّرَتْ لهم أكثر مما سُخِّرَتْ لقريش، وربما لكل قوم يتلون الكتاب من بعدهم ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ وبما أتهم كانوا مزودين بهذه الأجهزة زعموا بأنها تنقذهم من عذاب الله. ذلك أن الإنسان يهلك إذا كان ضعيفاً، أو جاهلاً، أو غافلاً، ولم يكن أولئك القوم كذلك، ومع ذلك أهلكوا عندما أراد الله.

﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾، وإنما ينتفع الإنسان بهذه الجوارح إذا كان مؤمناً بآيات الله، أمّا إذا كفر بها فإنه سوف يخطئ المنهج السليم للانتفاع بها.. أرايت الذي يملك أفضل وسيلة سير ثم يخطئ السبيل

(١) سورة غافر، الآية ٨٢.

فهل تنفعه وسيلته لبلوغ غايته إذا كانت وجهة سيره خاطئة؟! كذلك الذي لا يؤمن بالحقائق الكبرى ثم لا يستفيد من معرفته بالحقائق الجزئية التي تقع في إطارها، ويكون مثله كالذي لا يعترف أن عدوه يمتلك قنبلة نووية، ثم يجد في معرفة عدد دبابات العدو.. إنه سيخسر المعركة قطعاً حتى إذا عرف كل حقيقة في سلاح المدرعات عند العدو.

هكذا من لا يعتقد بقوة الله التي أرسلت على قوم عاد تلك العاصفة الهوجاء، التي دمّرت كل شيء بإذن ربها، أو التي أخذت فرعون وجنوده ونبذتهم في اليم نبذاً.

إنّ مثل هذا الرجل لن ينتفع شيئاً بمعرفته مثلاً بأصول الهندسة، أو كيفية تنظيم الجيش، لأنّ كل ذلك وضع في مواجهة أخطار بسيطة، أمّا مقاومة تغيير طبيعي هائل فإنّه فوق قدراتنا المنظورة.

تماماً كالذي يجهد نفسه في بناء خندق عميق في مواجهة سلاح ذريّ.. إنه مغرور لأنّ الخندق إنّما أنشئ لمواجهة سلاح تقليدي وليس سلاحاً ذريّاً.

وهكذا السمع والأبصار والأفئدة إنّما هي أدوات لمواجهة أخطار عادية، ولا تنفع الذي يخالف إرادة الله شيئاً ﴿إِذْ كَانُوا

يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١﴾
 من الحقائق الكبيرة التي جحدوها، وسخروا منها. إنَّها نزلت
 بهم كالصاعقة، وتنزل بمن يسير في خطِّهم الباطل.

فرحوا بما عندهم من العلم

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا
 عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٢)،
 لأنَّهم اعتمدوا على منطق القوَّة ورفضوا المنطق السليم، أرادوا
 دعم منطقهم بأموالهم وآثارهم في الأرض، زاعمين أنَّهم على
 حقٍّ لأنَّهم الأقوى ظاهراً، وأنَّ علمهم هو الأفضل لأنَّهم
 أكثر عدداً وعدَّةً ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا
 عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

ولعل معنى الفرح هنا: الاستغناء به عن العلوم الأخرى،
 كمن يعتزُّ برأيه، وهذا يوجب الانغلاق دون الأفكار الجديدة،
 وهذه في الواقع عادة الظالمين حيث إنَّهم يصابون بالتعصب
 والتقليد حتى لكأن قلوبهم في أكنة، يخشون من كلِّ جديد،
 وينغلقون دون كلِّ دعوة.

وهذا ليس من حكمة العلماء إنَّما هي صفة أصحاب القوَّة،

(١) سورة الأحقاف، الآية ٢٦.

(٢) سورة غافر، الآية ٨٣.

فالعلم بذاته يدعو إلى التواضع، ويهدي صاحبه إلى آفاق جهله، وآماد المعارف التي يجب عليه السعي إليها، وقد شبه بعضهم العلم بحلقة في صحراء الجهل كلما اتسعت حدودها لامست مساحات جديدة من هذه الصحراء، لذلك ترى أحد العلماء يقول عند موته عندما يسأل: ماذا علمت؟ يقول: علمت بأنّي لا أعرف شيئاً.

بلى، إنّنا نجد بعض الجهلاء اليوم يفتخرون بعلم العلماء (لا علمهم هم)، ويرفضون رسالة الله اعتماداً على تقدمهم العلمي^(١)، بينما نجد علماءهم يزدادون تواضعاً للحقائق كلما ازدادوا علماً، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٢).

(١) نقل العلامة المجلسي في البحار قائلاً: «قال الرازي عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ﴾: فيه وجوه - ثم ذكر من جملة الوجوه- أن يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان، وكانوا إذا سمعوا بوحي الله صغروا علم الأنبياء إلى علمهم. وعن سقراط أنه سمع بموسى ﷺ وقيل له: أو هاجرت إليه؟ فقال: نحن قوم مهذبون فلا حاجة إلى من يهذبنا. وقال الرازي في (المطالب العلية): أظن أن قول إبراهيم ﷺ لأبيه ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾ إنما كان لأجل أن أباه كان على دين الفلاسفة، وكان ينكر كونه تعالى قادراً وينكر كونه تعالى عالماً بالجزئيات فلا جرم خاطبه بذلك الخطاب». بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ١٩٨.

(٢) سورة هود، الآية ٨.

٥

السخرية والاستهزاء بالدين وما يتصل به

لكي يصنع الإسلام سدّاً منيعاً بين المجتمع الإسلامي، والمجتمعات الجاهليّة، حتى لا يتلى المجتمع بازدواجية الولاء، يحرم اتخاذ غيرهم أولياء من أولئك الذين يتخذون الدين الإسلامي هزواً ولعباً، سواء كانوا كفّاراً مشركين أو كانوا من أهل الكتاب، ويأمرهم بالتقوى والخوف من الله، والحذر من عقابه.

ويذكّرهم القرآن بأنّ أولئك يتخذون الصلاة هزواً ولعباً، وبسبب عدم انتفاعهم بعقولهم لم يعرفوا مدى أهمية الصلاة، وهم ينكرون على المسلمين إيمانهم بالله وبما أنزله الله من كتاب، بينما أولئك أكثرهم فاسقون.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١).

(١) سورة المائدة، الآيات ٥٧ - ٥٨.

لا توالِ هؤلاء!

حين يكون مقياس الإنسان في تقييم الأشخاص والمجتمعات هو مبدؤه ودينه ورسالته، يكون ولاؤه للناس بقدر ولائهم لذلك المبدأ والدين أو تلك الرسالة، أما إذا كان المقياس مصالحه العاجلة فإنه قد يوالي من يخالف دينه ورسالته، أو حتى يستهزئ بها أو يحاول الانتقاص منها.

والاستهزاء هو أسوأ أنواع الانتقاص من فكرة أو شخص، حيث يزعم المستهزئ أن سخافة الفكرة أو رذالة الشخص قد بلغت حداً لا يحتاج إلى دليل لردّها، بل إلى كلمات ساخرة يتتبع الفرد بعدها إلى واقعه وواقع فكرته غير الصالحين.

والقرآن الحكيم ينهى المؤمنين من تكوين علاقات ولائية بينهم وبين من لا يحترم دينهم ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوراً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ﴾.

الجزء: السخرية الظاهرة، بالكلام واللعب، واتخاذ الشيء مادة للتلهية عملياً كتقليد حركات الصلاة استهزاء، أو أداء الصلاة نفاقاً (كما قال بعض المفسرين)، ومن المعلوم أن جميع اليهود والنصارى أو أهل الكتاب ليسوا كذلك بل إن بعضهم هو الذي يستهزئ بالدين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

فلا تدفعكم المصالح العاجلة إلى الارتباط بمثل هذه الفئات، فإنّ كرامة الإنسان واستقلاله أعز شيء عنده ولا يجوز التنازل عنهما لأسباب مصلحة مؤقتة، كما تفعل بعض الأنظمة في بلاد المسلمين اليوم، حيث يرتبطون بالقوى المعادية للإسلام والمسلمين، ويعقدون معهم أحلاف الولاء لبعض المصالح العاجلة، في الوقت الذي لا تنبي مؤسسات الأعداء الإعلامية وأحزابهم عن النيل من الإسلام وأهله.

والسؤال الذي يفرض علينا عبر التاريخ ودروس الحضارات البائدة والمجتمعات المتخلفة هو: كيف يحترم العالم مجتمعاً لا يحترم نفسه، وكم يفني العالم لمثل هذا المجتمع الناقد لكرامته واستقلاله، وكم يفني له بالعهود، وإلى متى تستمر له هذه المصالح العاجلة، وأساساً هل تعني المصالح شيئاً لمجتمع فقد كرامته؟!

٦

السخرية والاستهزاء بالصلاة

حين ينادي المؤذن بالصلاة ترى هؤلاء يستهزئون بها، ويتغامزون بينهم، ويقولون لبعضهم: انظروا إلى المسلمين يتركون أعمالهم لأداء شيء غير نافع، وهذا مثل ظاهر لما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١) إنهم لا ينتفعون بها وهب الله لهم من نعمة العقل التي تدعوهم إلى التفكر في فوائد الصلاة، ومدى ارتباط سعادة البشر وفلاحه بها.

بل إن هُزء هؤلاء وإنكارهم على المسلمين وتناقضهم معهم ليس من أجل المصالح المتضادة، ولا من أجل الاختلاف في الدم واللغة - كما يزعمون - بل من أجل الاختلاف في القيم والمبادئ، وأن المسلمين آمنوا بالله وبالرسالات.

(١) سورة المائدة، الآية ٥٨.

٧

السخرية والاستهزاء بالمساجد

ومن تلك الحرمات التي يستهزئ بها الساخرون هي المساجد التي تقام فيها الصلاة.

قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(١).

هؤلاء الجهلة الذين اتخذوا صلاتهم عند البيت هزواً، فبدل الصلاة والضراعة أخذوا يصفرون ويصفقون كفراً بالله وبرسالاته، هؤلاء الذين اتخذوا من المساجد مراكز هو واستهزاء بالقيم، فكانت صلاتهم عند البيت الحرام (وهو أقدس مكان على وجه الأرض) التصفير والتصفيق ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ أي صفيراً وتصفيقاً،

(١) سورة الأنفال، الآيات ٣٤ - ٣٥.

فقد نزل عليهم عذاب الله عن طريق المؤمنين وبأيديهم، وكان سبب ذلك السخرية والاستهزاء.

قال تعالى: ﴿ذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، وجاء في الحديث عن ابن عباس: «كَانَتْ قُرَيْشٌ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ عُرَاةً يُصَفِّرُونَ وَيُصَفِّقُونَ»^(١).

وروي أن النبي ﷺ كان إذا صَلَّى في المسجد الحرام: «فَقَامَ رَجُلَانِ مِنْ عَبْدِ الدَّارِ عَنْ يَمِينِهِ يَصْفِرَانِ، وَرَجُلَانِ عَنْ يَسَارِهِ يُصَفِّقَانِ بِأَيْدِيهِمَا، فَيُخَلِّطَانِ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ، فَتَلَّهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً بِبَدْرٍ..»^(٢)، ولهم يقول ولبقية بني عبد الدار ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾.

وكلمة أخيرة: إن هذه الآية والتي قبلها تدلان بوضوح على أن السلطات التي تصد عن المساجد، وتعتدي على حرّية الناس فيها، وتتجاوز على حرّماتها، وتريد تحويل المساجد إلى مراكز للفساد والمنكر يقام فيها الشعائر دون لبابها، إنّها سلطات جائرة يجب مقاومتها حتى يعذبها الله بأيدي المؤمنين.

(١) تفسير القرآن الكريم المقدم، ج٦٢، ص٣.

(٢) التفسير الصافي، ج٢، ص٣٠١.

٨

السخرية والاستهزاء بالأحكام الشرعية

قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١).

بعد العدة تصبح المرأة حرة، وعلى الزوج أن يفكر ملياً فيما إذا كان يريد زوجته أم لا، فإذا أرادها فعليه أن يراجعها قبل انتهاء الفترة الممنوحة له، وإلا فليس له حق في منعها من التصرف في شؤونها لأنها أصبحت حرة.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ لتضروا

(١) سورة البقرة، الآية ٢٣١.

بهن، وتمنعوهن من الزواج بغيركم، لأن ذلك عدوان وظلم
 ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ ذلك أن حدود الله
 التي تحافظ على حقوق الناس هي في مصلحة الجميع.

فإذا تجاوزها شخص واعتدى على حقوق الآخرين، فقد
 يأتي شخص آخر ويعتدي على حقوقه هو، وهكذا تعم
 الفوضى.

من هنا وقبل أن يفكر الواحد في ظلم الناس، لابد أن يجعل
 هذا الظلم في الإطار الاجتماعي العام ويحلل الموقف؛ هل
 يريد أن يعود للمجتمع الظلم والفوضى أم لا؟ إذا أحب ذلك
 فليقدم، وليتظر النتائج السيئة.

من هنا يذكر القرآن هؤلاء الظالمين بنعمة الرسالة ويقول:
 ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا
 أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ فهل
 تجبّون العودة إلى حياة الجاهلية، حيث لا كتاب فيه دستور
 حياتكم، ولا حكمة تشرح تفاصيل سلوككم؟

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ هذه
 الفكرة هي - في الواقع - ضمان تنفيذ حدود الله المبيّنة في الآيات
 السابقة، وهي جوهر آيات هذا السياق، الذي يتحدث لنا
 عن التقوى في مظاهرها المختلفة.

٩

السخرية والاستهزاء بالحقائق

من مشاكل الإنسان تجاه الحقائق الكبيرة أنه لا يستوعبها إلا إذا اتصف المرء بسعة الأفق، وكلما كان العقل كبيراً كان صاحبه أقدر على اكتساب المعرفة، وبالتالي عقل الحقائق، والإمام عليّ عليه السلام يقول: «يَا كُمَيْلُ بِنَ زِيَادٍ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا»^(١).

والعقل حينما يصغي للحقائق أو يشاهدها يتعجب منها ولكنه يصدّقها، فلا يكذبك لو قلت له بأن الدلفين يستخدم الآن في عمليات التجسس، أو أنّ العلم الحديث اخترع جهازاً فلق به رأس البعوضة.

أمّا الجاهل فهو لا يكذب الحقائق وحسب، بل ويستهزئ بصاحبها، ويسخر منه، وقد يوصمه بالجهل والجنون، وفي الوقت الذي يدلّ موقف الإعجاب على نمو العقل، وسعة

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٤٧.

الصدر، واستيعاب الحقيقة، فإنّ موقف السخرية دليل على ضيق الأفق، وجمود الفكر، والقرآن يصف الرسول بالإعجاب، بينما يصف الكفار والمشركين بالسخرية ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾^(١).

وبسبب تحجّر قلوبهم، وجمود عقولهم، أصبحوا لا ينتفعون بالذكر، وقد يتعمّدون التغافل عن الحقيقة ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾^(٢)، والتذكير هو إثارة معلومات الإنسان في ذاكرته مما يدلّ على أنّ عقل الإنسان يحتوي على حقائق كثيرة لو استشاره صاحبه.

وهؤلاء ليس فقط لا يعودون إلى ذاكرتهم إذا استثّرت، إنّها يرفضون الانصياع للحقّ مع ظهور الآيات والشواهد عليه، وأعظم من ذلك جرأة على الله أنّهم يستثيرون الناس للسخرية على الحقّ ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾^(٣).

وقد تكون في الآيات إشارة إلى ثلاث مراحل يمرّ بها هؤلاء في رفضهم للحقّ:

• **أولاً:** السخرية بالحقّ لمجرد رؤيته.

(١) سورة الصافات، الآية ١٢.

(٢) سورة الصافات، الآية ١٣.

(٣) سورة الصافات، الآية ١٤.

- **ثانياً:** قسوة القلب، وهي نتيجة للسخرية حيث تتراكم عليه الحجب، فلا يعود صاحبه قادراً على التفاعل مع التذكرة، ومطابقة الحق الخارجي مع الفطرة البشريّة والعقل.
- **ثالثاً:** محاربة الحقّ ومحاولة صد الناس عنه.

١٠

السخرية والاستهزاء من المؤمنين

المنافقون لا يؤمنون حقاً بالله والقيم، فإنهم لا يمكنهم تصوّر إيمان الناس وتضحياتهم السخية بدافع الإيمان، ولذلك تجدهم يفسّرون صدقات المطوعين مثلاً بأنها رياء ليسقطوهم من أعين الناس، كما يعييون على الفقراء قلة ذات يدهم، والله يسخر من المنافقين ويعذبهم عذاباً أليماً.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

ولكن كيف يكون ذلك؟

إنّ كل إنسان يرى الناس بعين طبعه كما الأعمى لا يفقه واقع النور، فكيف يمشي على هداه البصير، وكما الجاهل لا يحيط بواقع العلم، فكيف يضيء درب السالكين، وكذلك

(١) سورة التوبة، الآية ٧٩.

المنافق لا يصدق بواقع الإيمان الذي يعمر قلوب الصادقين، فكيف يدفعهم على القيام بالأعمال الكبيرة دون أن يريدوا جزاءً أو شكوراً.

إنَّ المنافقين يفسِّرون أبداً أعمال الصالحين بمقاييسهم، ويزعمون أنّ وراء كل عمل صالح مصلحة ماديّة عاجلة، لا يظهرها صاحبها كما هي، لا يفعلون الخير إلاّ رياءً وطلباً للأجر العاجل، لذلك تجدهم يعيرون على الذين يعملون وينفقون تطوعاً لله وتصديقاً بوعده دون أنّ يخالطهم رياء أو سمعة ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ فيتّهمون هذه الطائفة بالرياء.

أمّا الطائفة الفقيرة من المؤمنين فترى هؤلاء المنافقين كيف يسخرون منهم لفقيرهم، وقلة عطائهم ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ لأنّهم فقراء لا يملكون إلاّ قوّة البدن وعمل اليد فيرتزقون عليها، وإذا فقدوا العمل فقدوا الرزق، كما العمال والفلاحين، فيسخر المنافقون الذين غالباً ما يكونون من الطبقة المترفة منهم ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ حين يرون نتائج أعمالهم فتلك سخرية واقعيّة، وهذه سخريتهم لفظية كلامية لا أثر لها.

وقد تكون السخرية لأسباب ماديّة مثل قلة المال لأنّ المعايير

عند هؤلاء معايير زائفة ولذلك قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اسْتَدَلَّ مُؤْمِنًا أَوْ مُؤْمِنَةً أَوْ حَقَّرَهُ لِفَقْرِهِ أَوْ قَلَّةِ ذَاتِ يَدِهِ، شَهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَفْضَحُهُ»^(١).

ومما قاله لقمان لابنه وهو يعظه: «يَا بُنَيَّ لَا تُحَقِّرَنَّ أَحَدًا بِخُلُقَانِ ثِيَابِهِ؛ فَإِنَّ رَبَّكَ وَرَبَّهُ وَاحِدٌ»^(٢).

فما مسؤوليتنا تجاه هذه الحالة؟

علينا ألا ننهزم أمام سخرية المنافقين، ولا يفقد المؤمن إحساسه بشخصيته أمام سخرية المنافق حتى ولو كان الأخير أغنى منه وأقدر، كما يجب ألا يستقل المؤمن عطاءه في الله، إن لم يكن يملك غيره لأن الله لا ينظر إلى قدر العطاء بل إلى قدر المعطي وسلامة نيته.

من هنا سُرِّلَ النَّبِيُّ ﷺ فيما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «جُهْدُ الْمُقِلِّ»^(٣).

زخارف الدنيا سبب السخرية

لماذا يختلف الناس؟ وما هو جذر المشكلة؟

الجواب: أنهم يختلفون لأن الدنيا زُيِّنَتْ لقلوبهم، فمقاييسهم

(١) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٤٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٤٧.

(٣) مستدرک الوسائل، ج ٧، ص ١٦٣.

دنيوية ويقومون بالأشياء والآخرين وفقها.

ولكن المؤمن لا يتمحور حول الدنيا بل الآخرة، ولذلك فهو يتقي الدنيا وشهواتها وفواحشها، وهنا يظهر جلياً مدى أهمية التقوى في إنشاء حياة كريمة، لأنها تسحب فتيل الخلافات الاجتماعية المتمثلة في حبّ الدنيا.

﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لاّتهم لا يأبهون بالدنيا كثيراً، أو لاّتهم فقراء مادياً أو ليسوا من ذوي الخطوة الاجتماعية في حين أنّ الحقيقة أنّ المؤمنين هم الفائزون ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. والدنيا الفاضلة لا يحصل عليها كلّ من أرادها، بل هناك سبل يجب السير فيها حتى نصل إلى الدنيا الكريمة ذات النعم المتكاملة، وهي موجودة في آيات الله وفي طليعتها قانون الوحدة (الدخول في السلم كافة) إنّهُ باب يؤدّي إلى رزق الله. ورزق الله في الدنيا متاح بالسعي الحكيم، وليس مربوطاً بالإيمان والكفر ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٢.

السخرية والاستهزاء بالعذاب

كُلَّ عمل يقوم به الإنسان سيلاقيه فالجزاء آتٍ عاجلاً أم آجلاً، وإنَّ تأخيره ليس إلا لحكمة مثل الابتلاء، بيد أنَّ الساخرين والمنافقين والكفّار يتخذون من هذا التأخير مبرراً للكفر والجحود.

﴿وَلَيْنُ أَخْرَجْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ﴾، إنَّ التأخير ليس بلا خطة حكيمة وتقدير رشيد، إنّما هو لوقت معين (أُمَّة معدودة)، ولكنهم يتساءلون عن سبب تأخيره، وكأنَّ التأخير دليل عدم العذاب، وهذا من أبرز نواقص البشر، أتهم يخشون الجزاء العاجل، ويكفرون بالجزاء الآجل، ولكن عليهم أن يعلموا ﴿أَلَا يَوْمٌ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١)؛ فلقد كانوا يستهزؤون بالعذاب، وها هو محيط بهم، يحاصرهم دون أن يقدرُوا على رده، بينما استهزؤوا سابقاً به.

(١) سورة هود، الآية ٨.



الفصل الرابع:

وسائل السخرية و الاستهزاء



خلاصة الفصل الرابع

- **أولاً:** السخرية بالقول لا تنحصر عند لفظ معين بل إننا نجد أن القرآن الكريم قد سجل لنا مجموعة من الألفاظ التي أتهم بها النبي ﷺ أو الأنبياء ﷺ أو من ينوبهم من الأئمة والعلماء الربانيين؛ فتارةً بأتهم سحرة، وتارةً بأتهم كهان، وأخرى كذابين، وغيرها مما قد يعدّ استهزاءً.
- **ثانياً:** الاستهزاء من المؤمنين يحمل في طياته السخرية من مبادئهم، ولكنه يحوّل الصراع إلى صراع شخصي، حيث يعادي الكفار أشخاص المؤمنين ويسقطون هيبته من أنفسهم، ويحقرون كل أفعالهم وتصرفاتهم، وبالتالي، يصبح هذا حاجزاً نفسياً دون التفكير في المبادئ التي يدعون إليها.

ولعلّ ذلك هو ما أشار إليه القرآن هنا بقوله: ﴿حَتَّىٰ أَنسَوَكُمُ ذِكْرِي﴾، أمّا قوله: ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَحَكُونَ﴾ فهو الجانب السلوكي والعملي لحالتهم النفسية حيث كانوا يتخذونهم سخرياً.

• **ثالثاً:** جاء في الحديث المأثور عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَسْرَارِكُمْ»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ: «الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبِرَاءِ الْعَيْبِ»^(١). هؤلاء همّمازون اللّمّازون يحسّون بنقص في أنفسهم، حيث جاء في الحديث المأثور عن النبي ﷺ: «أَذُلُّ النَّاسِ مَنْ أَهَانَ النَّاسَ»^(٢).

• **رابعاً:** قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي لا تتبادلوا بينكم الألقاب السيئة التي تؤثر على سمعة المجتمع الإسلامي، إنّما ينبغي أن نختار أفضل الألقاب، وأحب الأسماء فنطلقها على إخواننا.

(١) تفسير القرطبي، ج ٢٠، ص ١٨١.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٩٤.

حينما يسقط الإنسان في فخ الشيطان والباطل فإنه لا يتورع عن استخدام أي وسيلة تمكّنه من التشويش على الحقّ، ومن أهم هذه الوسائل:

١. السخرية والاستهزاء بالقول والفعل.
٢. السخرية والاستهزاء بالضحك.
٣. السخرية والاستهزاء بالهمز واللمز والغمز.
٤. السخرية والاستهزاء بالنبز.

١

السخرية والاستهزاء بالقول والفعل

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ثلاثةٌ في ظلِّ عرشِ الله تعالى يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه: رجلٌ أنصفَ النَّاسَ مِن نفسه، ورجُلٌ لم يُقدِّم رجلاً ولم يُؤخِّر رجلاً حتَّى يعلمَ أنَّ ذلكَ لله رضى أو سخطٌ، ورجُلٌ لم يعب أخاه بعيبٍ حتَّى ينفي ذلكَ من نفسه فإنَّه لا يخفى منه عيبٌ إلا بدَّله عيبٌ آخرٌ، وكفى بالمرءِ شغلاً بنفسه عن النَّاسِ»^(١).

وقال أيضاً عليه السلام: «إياك أن تذكُر من الكلام ما يكونُ مضحكاً وإن حكيتَ ذلكَ عن غيرك»^(٢).

مع أن الإنسان لا يقبل السخرية من أحد على نفسه إلا أنه يسخر ويستهزئ بالآخرين! ومع أنه مليء بعيوب لا تحصى - وكان يفترض به أن يشغل بعيوبه - إلا أنك تراه يعيب الآخرين، فتارةً بالقول وتارةً بالفعل، ليس شيء إلا لضعفة يعاني منها.

(١) عيون الحكم والمواعظ، ج ١، ص ٢١٣.

(٢) نهج البلاغة، الرسالة ٣١.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾^(١) فالزلق من الانحراف، قال أهل اللغة: أزلقه: أزله وأبعده عن مكانه ونحاه، وزلقت القدم: لم تثبت، والفرس أجهضت وألقت ولدها قبل تمامه، والأرض الزلقة: الملساء التي لا شيء فيها، ولا تثبت عليها قدم.. فيزلقونك إذن بمعنى يُزَلُّون قدمك عن مسيرة الحق، سواءً بالمداهنة التي يودّها المكذبون أو بالمواجهة والتحدّي. ولقد ذهب أكثر المفسّرين إلى أنّ معنى الإزلاق بالأبصار هو الحسد الذي يؤثّر في الإنسان بصورة غيبية، ونقلوا عن الرسول ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْخُلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ وَالْجَمَلَ الْقِدْرَ»^(٢)، وقوله يعوذ الحسنين ﷺ: «أُعِيدُكُمْ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى كُلِّهَا عَامَّةً مِنْ شَرِّ السَّامَةِ وَالْهَامَةِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ عَيْنٍ لَأَمَةٍ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ»^(٣).

وقد يكتشف البشر أسرار ظاهرة الحسد إذا تقدموا في العلم ودراسة الحالات النفسية، ولكن الأقرب من هذا المعنى أنّها كناية عن المواقف الحاقدة التي تعبّر عنها نظراتهم الحادة كالسهم النافذ وكحدّ الحسام المرهف.

(١) سورة القلم، الآية ٥١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦٠، ص ٢٠.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ٥٢٩.

ونحن من هذه الظاهرة البصرية يجب أن ننطلق لمعرفة ما وراءها وما تعبّر عنه من الضغوط، والمواقف النفسية والاجتماعية والسياسية للكفار ضدّ كلّ قيادة رسالية تنشدهم التغيير، وبالذات إعلامهم الموبوء بمختلف الدعايات والتهم الباطلة.

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾، وسخريتهم هذه وقولهم هذا يعبر عن ذلك الغيظ الذي امتلأت به قلوبهم والموقف الذي أظهرته أبقارهم، وهكذا كلمات القرآن يصدق بعضها بعضاً، فقوله سبحانه: ﴿لَيْزُلُقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ يفسر قوله سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾، فعبر أبقارهم الحادة وكلماتهم النابية يريدون إبعادك عن الصراط المستقيم.

واليوم ومع تطوّر الوسائل الإعلامية ينبغي أن يتوقع كلّ مصلح رسالي أن يواجه المزيد من الضغوط في مسيرته، وبالتالي عليه أن يصبر في نفسه، ويستقيم في حركته وعمله لوجه الله وتسليماً بقضائه وحكمه، فأثى كانت الضغوط والتهم لا يمكنها أن تغير من الواقع شيئاً، فهل يصبح العاقل مجنوناً، والذكر أساطير الأولين بمجرد أن يقول الكافرون ذلك؟ كلا.. لأنّ الحقائق لا تتغير بقول المكذّبين المنكرين، وإنّ الدارس للقرآن لا يمكنه إلاّ التسليم بأنّه رسالة من الله إلى الناس.

والسخرية بالقول لا تنحصر عند لفظ معين بل إننا نجد أنّ القرآن الكريم قد سجّل لنا مجموعة من الألفاظ التي أتهم بها النبي ﷺ أو الأنبياء عليهم السلام أو من ينوبهم من الأئمة والعلماء الربانيين، فتارةً بأتهم سحرة، وتارةً بأتهم كهان، وأخرى كذابين، وغيرها مما قد يعد استهزاءً، وأمّا استهزاء الناس فيما بينهم البين فإنّها تختلف باختلاف الأزمنة والأماكن التي هم فيها، بل والمكانة الاجتماعية التي يتبوؤونها.

وأما السخرية والاستهزاء من خلال تقليد الحركات ومحاكاة الأفعال فإنّها هي الأخرى غير منحصرة بتقليد حركة معينة.

ولعل المثال الأبرز هو الحكم بن أبي العاص، فقد روى جابر قائلاً: كان الحكم بن أبي العاص ممن يستهزئ من رسول الله ﷺ بحضرة من مشيته ويسخر منه، وكان رسول الله ﷺ يوماً والحكم خلفه يجرّك كتفيه ويكسر يديه خلف رسول الله ﷺ استهزاءً منه بمشيته؛ فأشار رسول الله ﷺ بيده الشريفة وقال: «هَكَذَا فَكُنْ»، فبقي الحكم على تلك الحال من تحريك أكتافه وتكسير يديه، ثمّ نفاه عن المدينة ولعنه، وكان مطروداً إلى أيام عثمان فردّه إلى المدينة وأكرمه^(١).

وأمثال هذا الرجل في كلّ عصر كثير.

(١) إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، ج ١، ص ٣٩٧.

٢

السخرية والاستهزاء بالضحك

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَإِرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾^(١) لقد كانت جماعة منكم، وبين ظهرانيكم، يدعون ربهم ويؤمنون به، لقد آمنوا ثم اعترفوا بالتقصير، وسعوا نحو مرضاة الرب.

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَحَكُونَ﴾^(٢) إن الاستهزاء من المؤمنين يحمل في طياته السخرية من مبادئهم، ولكنه يحوّل الصراع إلى صراع شخصي، حيث يعادي الكفار أشخاص المؤمنين ويسقطون هيبتهم من أنفسهم، ويحقّرون كلّ أفعالهم وتصرفاتهم، وبالتالي، يصبح هذا جزءاً نفسياً دون التفكير في المبادئ التي يدعون إليها، ولعلّ ذلك هو ما أشار إليه القرآن هنا بقوله: ﴿حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾.

(١) سورة المؤمنون، الآية ١٠٩.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ١١٠.

أما قوله: ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَحَكُونَ﴾ فهو الجانب السلوكي والعملي لحالتهم النفسية حيث كانوا يتخذونهم سخرياً.

لقد كان المؤمنون في الدنيا عرضةً لألوان البلاء والمشاكل، من السخرية والضحك و.. ولكنهم استقاموا وصبروا فكان جزاؤهم الجنة ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(١)، ويبدو من الآية أنّ من أعظم الصبر الصبر على تجريح الشخصية.

يقول الإمام علي عليه السلام: «رُبَّ كَلَامٍ كَالْحُسَامِ»^(٢)، وقال عليه السلام: «رُبَّ كَلَامٍ أَنْفَذَ مِنَ السِّهَامِ»^(٣)، وقال عليه السلام: «زَلَّةُ اللِّسَانِ أَشَدُّ مِنْ جُرْحِ السِّنَانِ»^(٤)، وقال عليه السلام: «ظَنُّ اللِّسَانِ أَمْضَى مِنْ جَرِحِ السِّنَانِ»^(٥)، ولذلك نجد أبرز صفات المؤمنين حقاً أنّهم لا يأبهون باللوم ولا يخافونه.

من هنا فقد وردت الروايات الشريفة عن أهل البيت عليهم السلام تنهى عن تجريح مشاعر الناس سواءً كان ذلك بالسخرية

(١) سورة المؤمنون، الآية ١١١.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٣٧٩.

(٣) عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٦٧.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٣٩٢.

(٥) عيون الحكم والمواعظ، ص ٣١٨.

المباشرة أو بإضحاك الآخرين، قال رسول الله ﷺ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ»^(١).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يَا أَبَا ذَرٍّ: إِنَّ الرَّجُلَ يَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ فِي الْمَجْلِسِ لِيُضْحَكَهُمْ بِهَا فَيَهْوَى فِي جَهَنَّمَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»^(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لِيُضْحِكَ بِهَا جُلَسَاءَهُ فَيَهْوَى بِهَا أَبْعَدَ مِنَ الثَّرِيَّا»^(٣).

ونحن اليوم في زمنٍ تحوّلت فيه السخرية والاستهزاء إلى فن، وتوسّعت دائرته من المجالس إلى دور السينما والفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي والصحف والمجلات وما أشبه ذلك، لكن مع ذلك نجد أنّ أهل البيت عليه السلام حذرونا منها فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «وَقَرُّوا أَنْفُسَكُمْ عَنِ الْمُمَاكِهَاتِ، وَمَصَاحِكِ الْحِكَايَاتِ، وَمَحَالِّ التَّرَهَاتِ»^(٤)، لأنّها تعود بالخسران على من يمارسها ويمتهنها.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «كَانَ بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ بَطَّالٌ يَضْحَكُ النَّاسَ مِنْهُ، فَقَالَ: قَدْ أَعْيَانِي هَذَا الرَّجُلُ أَنْ أَضْحِكَهُ -يَعْنِي

(١) بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٢٣٥.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم، ج ١، ص ٧٢٧.

(٣) مجموعة ورام، ج ١، ص ١١١.

(٤) عيون الحكم، ج ١، ص ٥٠٥.

عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - قَالَ: فَمَرَّ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَلْفَهُ مَوْلِيَانِ لَهُ، فَجَاءَ الرَّجُلُ حَتَّى انْتَزَعَ رِدَاءَهُ مِنْ رَقَبَتِهِ، ثُمَّ مَضَى فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَاتَّبَعُوهُ وَأَخَذُوا الرِّدَاءَ مِنْهُ، فَجَاءُوا بِهِ فَطَرَحُوهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا لَهُ: هَذَا رَجُلٌ بَطَّالٌ يُضْحِكُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: قُولُوا لَهُ: إِنَّ اللَّهَ يَوْمًا يَخْسِرُ فِيهِ الْمُبْطِلُونَ^(١).

(١) الأماي (للصدوق)، ج ١، ص ٢٢٠.

٣

السخرية والاستهزاء بالهمز واللمز والغمز

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هَمْزَةٍ لَّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّتِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾^(١).

قالوا: إنّ الهمز هو الاغتياب بالقول، بينما اللمز: هو الاغتياب بالإشارة، وأتمها معاً بالتالي نوع الحديث عن غائب، وأنشدوا الشاعر قوله:

تُدلي بودي إذا لاقتني كذباً

وإن أغيب فأنت الهامز اللمزة

ويبدو أن الهمز أشدّ من اللمز، فإذا كان الهمز بالوجه فاللمز بالغيبة، وإن كان الهمز بالنطق فاللمز بالإشارة، وإذا كان الهمز يهدف العلو في الأرض، فإنّ اللمز يبقي الفساد فيها. الأول سمة التكبر والتجبر، والثاني علامة المكر والاحتيال، وقطع الأرحام، وإثارة الفتن.

(١) سورة الهمزة، الآيات ١ - ٣.

وجاء في الحديث المأثور عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ:
 «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَشْرَارِكُمْ»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال ﷺ:
 «الْمَشَاوُونَ بِالتَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبِرَاءِ
 الْعَيْبِ»^(١).

هؤلاء الهمّازون اللّمّازون يحسّون بنقص في أنفسهم،
 حيث جاء في الحديث المأثور عن النَّبِيِّ ﷺ: «أَذَلُّ النَّاسِ مَنْ
 أَهَانَ النَّاسَ»^(٢).

وهذا الإحساس يجعلهم يستكبرون على الناس، ويبحثون
 عما يجبر نقص أنفسهم بجمع المال وتعداده، والافتخار به،
 والتعالي على الناس بسببه.

﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾، يبدو أنّ معنى ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ أحصاه
 وعدّده المرة بعد الأخرى مباحة به، واعتماداً عليه، ولكي يرى
 هل بلغ مستوى طموحه أم لا؟ رأيت الأطفال كيف يحسبون
 دراهمهم باستمرار فرحاً وفرحاً.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
 يَضْحَكُونَ﴾^(٣)، ذكروا في تنزيل الآية سببين:

(١) تفسير القرطبي، ج ٢٠، ص ١٨١.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٩٤.

(٣) سورة المطففين، الآية ٢٩.

• **أولاً:** أن المجرمين هم أكابر قريش كانوا يضحكون من عمار وصهيب وبلال وغيرهم من فقراء المسلمين ويستهزئون بهم.

• **ثانياً:** أنه جاء عليّ عليه السلام في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتفاخروا، ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلع، فضحكوا منه، فنزلت هذه الآية قبل أن يصل عليّ عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.^(١) والظاهر أن سبب النزول الثاني أقوى لأن السورة مدنية.

أول شهادة تسجل ضدّ المجرم هي شهادة ضميره الذي يلومه ويؤنبه على جريمته، لذلك تراه يسعى جاهداً للتخلص منه فماذا يفعل؟ إنه ينتقم من أهل الصلاح ويتقص منهم ويستهزئ بهم لعله يخفف من وطأة اللوم الذي يتعرض له داخلياً.

كلا... إنه يزداد وخزاً وألماً لأن الاستهزاء بالمؤمنين جريمة أخرى ارتكبتها واستحق عليها لوم ضميره.

وهكذا يزداد استهزاء وسخرية دون أية فائدة.

(١) التفسير الكبير، ج ١، ص ١٠١.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾^(١) أي يشيرون إليهم بأعينهم وأيديهم استهزاء، وقيل: الغمز بمعنى العيب. والله يدري كم تكون جراحة اللسان أليمة بالنسبة إلى المؤمن الشريف الذي لا يزال يجتهد من أجل تزكية نفسه.

وإذا كان الغمز في الجاهلية بالعين واليد فإنه أصبح اليوم بالأقلام والأفلام وسائر وسائل التشهير التي امتلكها أعداء الإنسان، أعداء الله والدين، وإن صمود المجاهدين اليوم أمام هذه الدعايات المضللة يزيدهم عند الله أجراً وزلفاً، لأنهم يصبرون على أذى عظيم، وآلام نفسية لا تحتمل.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ بَحَثَ عَنْ أَسْرَارِ غَيْرِهِ أَظْهَرَ اللَّهُ أَسْرَارَهُ»^(٢)، وقال عليه السلام أيضاً: «لِيَكُنْ أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيْكَ وَأَبْعَدُهُمْ مِنْكَ أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ»^(٣)، وقال أيضاً عليه السلام: «إِيَّاكَ وَمُعَاشِرَةَ مُتَّبِعِي عُيُوبِ النَّاسِ فَإِنَّهُ لَنْ يَسْلَمَ مُصَاحِبُهُمْ مِنْهُمْ»^(٤).

ورود عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «كَانَ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامٌ لَهُمْ عُيُوبٌ، فَسَكَتُوا عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، فَأَسَكَتَ اللَّهُ عَنْ

(١) سورة المطففين، الآية ٣٠.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، ج ١، ص ٤٣٦.

(٣) عيون الحكم والمواعظ، ج ١، ص ٤٠٥.

(٤) عيون الحكم والمواعظ، ج ١، ص ٧٩.

عُيُوبُهُمُ النَّاسُ، فَمَاتُوا وَلَا عُيُوبَ لَهُمْ عِنْدَ النَّاسِ، وَكَانَ بِالْمَدِينَةِ
أَقْوَامٌ لَا عُيُوبَ لَهُمْ، فَتَكَلَّمُوا فِي عُيُوبِ النَّاسِ، فَأَظْهَرَ اللَّهُ لَهُمْ
عُيُوبًا لَمْ يَزَالُوا يُعْرِفُونَ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتُوا»^(١).

وبينما يعيش المؤمنون والمجاهدون أشدَّ حالات الألم
والخوف وتنتفض أطفالهم ونساؤهم في المخابئ والمهاجر
خشية مدهامة جنود إبليس المعسسين ترى المجرمين ينقلبون
إلى بيوتهم في أمن ظاهر، يتبادلون نخب الانتصارات الزائفة،
ويرتادون مجالس اللهو والعريضة. ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾^(٢)، قالوا: أي معجيين بما هم عليه من الكفر،
متفككين بذكر المؤمنين، ولعلَّ المراد من الأهل هنا أصحابهم
وأهل مؤانستهم.

ويحاول أعداء الرسالة إلصاق تهمة الضلالة إلى المؤمنين
لعلَّهم يعزلونهم عن المجتمع ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ
لَضَّالُّونَ﴾^(٣)، ويبدو أنَّ هدف هذه التهمة إثارة حساسية
الناس ضدهم، لأنَّهم يخالفون الخرافات الشائعة التي ينصب
المجرمون أنفسهم مدافعين عنها، في حين يسعى المؤمنون نحو
إنقاذ المجتمع من ويلاتها.

(١) بحار الأنوار، ج ٧٢ ص ٢١٣.

(٢) سورة المطففين، الآية ٣١.

(٣) سورة المطففين، الآية ٣٢.

٤

السخرية والاستهزاء بالنبي

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ أي لا تتبادلوا بينكم الألقاب السيئة التي تؤثر على سمعة المجتمع الإسلامي، إنَّها ينبغي أن نختار أفضل الألقاب، وأحبَّ الأسماء فنطلقها على إخوتنا.

إنَّ طهارة اللسان ونظافة الأجواء الاجتماعية تطبع حياتنا بأحسن الصور. رأيت لو قَدِمَتَ مدينةَ قذرة لا يابِه أهلها بنظافة أبدانهم، أفلا تتمنى لو تخرج منها سريعاً؟ كذلك المجتمع حين يعقب طيب الكلمات الحسنة في أرجائه يستريح الإنسان إليه، أمّا إذا انتشر فيه ريحة نتنة نهرب منها.

وقد نزلت هذه الآية -حسب المفسرين- «في أن الرجل كان يعيَّر بأصله بعد إسلامه فيقال له: يا يهودي، يا نصراني.. وقال البعض: إنَّ الرجل كان له الاسمان والثلاثة فيُدعى ببعضها فعسى يكره فنزلت الآية»^(١).

(١) تفسير القرطبي، ج ١٦، ص ٣٢٨.

﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ فالأسماء التي كانت للجاهلية لا تصلح للمسلمين الذين رفع الله شأنهم بالإيمان، ولذلك روي عن النبي ﷺ: «مِنْ حَقِّ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُسَمِّيَهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ»^(١).

﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢) إن الحقوق الاجتماعية ليست بأقل حرمة من الحقوق المالية، ومن يعتدي على عرض إخوانه كمن يعتدي على نفسه أو ماله، أو لا نقرأ الحديث الشريف المأثور عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ مِنَ الْمُسْلِمِ دَمَهُ وَمَالَهُ وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ»^(٣).

وهذه الآية تنهى أيضاً عن التعبير الذي هو من التنازع بالألقاب حسب ما يدل على ذلك سبب نزولها، وقد وردت نصوص عديدة في النهي عن ذلك منذرة فاعل ذلك بالافتضاح.

فقد روى الإمام الصادق عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ أَدَاعَ فَاحِشَةً كَانَ كَمُبْتَدِئِهَا، وَمَنْ عَيَّرَ مُؤْمِنًا بِشَيْءٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَكِبَهُ»^(٤).

(١) تفسير القرطبي، ج ١٦، ص ٢٣٠.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١١.

(٣) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٢٠١.

(٤) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٢١٥.



الفصل الخامس:

نتيجة السخرية و الاستهزاء



خلاصة الفصل الخامس

- **أولاً:** إن الأمم السابقة قد استهزأت بالرسل، فإذا بتلك الرسائل التي استهزؤوا بها تظهر حقائق تحيط بهم كما هو حال الأمم التي عذبها الله تعالى.
- **ثانياً:** قسوة القلب نتيجة للسخرية حيث تترام على حجب الذنوب، فلا يعود صاحبه قادراً على التفاعل مع التذكرة، ومع نصيحة الناصحين، ولا مطابقة الحق الخارجي مع الفطرة البشريّة والعقل، وبالتالي لا يهتدي إلى الحق.
- **ثالثاً:** التنافس يمثل جزءاً كبيراً من شخصيّة كل إنسان، وإذا قُضي على هذه الصفة في الإنسان تراجع روح الإبداع، وقد تكون السخرية من طرق القضاء على التنافس.

• **رابعاً:** ما دام الاستهزاء موجوداً يظل البشر غير مهتم بالحق، وبالتالي لا يتفجع بآيات الله الموجودة في نفسه وفي الخلق من حوله، والتي هي براهين على الحق، بل يحاول أن يتشبث ببعض الحجج الواهية حتى يردّ الحق وآياته، ومتى ما ظهر وهن حجة من حججه، فإنه يسارع إلى حجة واهية أخرى.

• **خامساً:** يبيّن القرآن مصير المكذّبين بالوحي. لعلّ القلوب تلين فتستقبل الرسالة، وأخذ يداوي أمراض القلوب الجاحدة. ذلك أنّ مرض الاستهزاء بصاحب الرسالة - الرسول أو الإمام أو العالم أو المبلغ - يقف حاجزاً دون استقبال نور الوحي.

ولكن لماذا استهزؤوا بالرسول الكريم؟ لأنّ قلوبهم أشربت بحبّ المادّة، فلم تعد تعترف إلاّ بالثروة والقوّة والجاه العريض، وبهذه المقاييس وزنوا العلم والفضيلة، وأرادوا أن تكون موازين الحقّ تابعة لأهوائهم ونظراتهم الضيقة.

• **سادساً:** إنّ الاستهزاء قد يكون أخطر حجاب يفصل بين عقل الإنسان وبين نور الهداية. ومن أشدّ ظلماً لنفسه وللناس وللحقائق ممن أودع الله في قلبه فطرة

الإيمان ثم ذكَّره عبر رسالاته بآيات ربِّه فأعرض
عنها ونسي ذنوبه فجعل الله على قلبه ستاراً، ومنع
عنه الفقه وجعل في أذنه وقراً فإذا به لا يهتدي أبداً.

كما أنّ لكلّ عمل أثر ونتيجة يؤثر على حياة الإنسان في الدنيا والآخرة، كذلك هي السخرية والاستهزاء لها الكثير من الآثار والنتائج على حياة الإنسان، ونتائج هذا العمل كثيرة ووخيمة لا يعلم مداها إلا الله سبحانه، ولكن نذكر أهمها على سبيل المثال لا الحصر:

١. وأد المسؤولية.
٢. قسوة القلب.
٣. تدمير العلاقة بين الإنسان وأخيه.
٤. السخرية تقضي على التنافس.
٥. عدم الانتفاع بآيات الله تعالى.
٦. السخرية والاستهزاء يحجب نور الوحي.
٧. يحيط بصاحبه في الآخرة.
٨. حجاب بين عقل الإنسان وبين الهداية.
٩. التعالي على المجتمع.

١٠. خور العزيمة وضعف الإرادة.
١١. عدم احترام الآباء لأبائهم والعكس.
١٢. مفارقة الإيمان.

١

وَأد المسؤوليّة

للسخرية والاستهزاء دور في وأد المسؤوليّة عند الإنسان، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾^(١). إنّ الأمم السابقة قد استهزأت بالرسول، فإذا بتلك الرسالات التي استهزؤوا بها تظهر حقائق تحيط بهم كما هو حال الأمم التي عذبها الله تعالى.

ولكن هل الرسالة الإلهيّة بذاتها عذاب؟ وهل هي التي تؤدّي إلى الضرر الوخيم الذي يصيب المعاندين في جهنّم؟ بالطبع -كلا- فالرسالة بما فيها من أفكار هداية وإرشاد إنّما هي تعبير عن الحقيقة، وحينما يستهزئ أحد بها فإنّه يستهزئ بالحقّ ذاته، فحينما أقول لا تأكل هذا الطعام لأنّ فيه جرثوماً، فإنّ هذه الكلمة تعكس حقيقة واقعية، وعندما تخالف وتأكّل منه، فإنّ الجرثوم، وهو تلك الحقيقة الواقعية، سيحيط بك

(١) سورة الأنعام، الآية ١٠.

ويوقعك في الألم والمعاناة، لذلك يعبر القرآن عن هذه الحالة تعبيراً دقيقاً، ويقول: ﴿فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١).

القرآن في هذه الآية كما في أكثر آيات سورة الأنبياء، يكثر من الحديث عن اللعب واللهو، والاستهزاء والسخرية، فلماذا؟

السبب هو أن الحديث فيها، يدور حول المسؤولية، وهذه الأشياء نقيض لها، فاللعب، وهو القلب، والاستهزاء بالرسالة، والسخرية من الرسل، وبالتالي من الحقائق، هذه كلّها تقتل إحساس الإنسان بمسؤوليته في الحياة.

(١) سورة الأنبياء، الآية ٤١.

٢

قسوة القلب

وهي نتيجة للسخرية حيث تتراكم عليه حجب الذنوب، فلا يعود صاحبه قادراً على التفاعل مع التذكرة، ومع نصيحة الناصحين، ولا مطابقة الحق الخارجي مع الفطرة البشرية والعقل، وبالتالي لا يهتدي إلى الحق.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «مِنْ عَلَامَاتِ الشَّقَاءِ جُمُودُ الْعَيْنِ، وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ، وَشِدَّةُ الْحِرْصِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ، وَالْإِضْرَارُ عَلَى الذَّنْبِ»^(١).

وعن مولانا الباقر عليه السلام: «إِنَّ لَهِ عُقُوبَاتٍ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ: ضَنْكٌ فِي الْمَعِيشَةِ، وَوَهْنٌ فِي الْعِبَادَةِ، وَمَا ضُرِبَ عَبْدٌ بِعُقُوبَةٍ أَعْظَمَ مِنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ»^(٢).

(١) بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ١٦٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٧٦.

٣

تدمير العلاقة بين الإنسان وأخيه

قال النبي ﷺ: «لَا يَكْذِبُ الْكَاذِبُ إِلَّا مِنْ مَهَانَةِ نَفْسِهِ، وَأَضَلُّ السُّخْرِيَّةِ الظُّمَأَيْنَةُ إِلَى أَهْلِ الْكَذِبِ»^(١).

بدء فساد العلاقة بين الإنسان ونظيره تضاؤل قيمة الإنسان كإنسان في عينه، وأنثذ لا يحترم الناس بعضهم، ويبحث كل عن منقصة في صاحبه يسخر منه بها، ويدعي لنفسه مكرمة يفتخر بها، بينما لو أنصفنا أنفسنا لعرفنا أن سرَّ احترامنا لأنفسنا هو أننا بشر نملك العقل والإرادة، ونتحسس بالألم واللذة، ونتحلى بالحبِّ والعواطف الخيرة، أفلا توجد كل هذه في أبناء آدم جميعاً، فلماذا أطالب باحترام الناس لي، ولا أجد لأحد حرمة عند نفسي؟

تعالوا ننظر لحظة ببصائرنا، حين أسخر من إنسان نظير لي في مجمل صفاته، أفلا يعني ذلك أنني أسخر من نفسي أيضاً؟

(١) بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٢٦٢.

بلى، الذين يكفرون بقيمة الإرادة والعقل والحبّ والعواطف في أنفسهم هم الذين يكفرون بها في غيرهم ثمّ يسخرون منهم، إنهم ينسلخون من إنسانيتهم ثمّ يسمحون لأنفسهم بانتهاك حرّمات غيرهم.

من هنا يشرع السياق في اجتثاث جذور الشقاق الاجتماعي بالنهي عن السخرية بالآخرين قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾^(١)، ويخاطب المؤمنين لأنّ هذه الصفة لا تناسب وإيمانهم بالله، أو ليس الإيمان بالله يعني حذف القيم الأرضية وتطهير النفس من احترام المال والبنين والشهرة والأرض و.. مما يسبب عادة في التفاخر. وحين ينهى ربنا عن السخرية فلا تها الخطوة الأولى في طريق النهاية. كيف؟

إنّ من أعظم مفاخر البشر ومزاياه صفة الحياء، حيث يتحسس الإنسان بفطرته النقية أنّ للآخرين حرمة لا بدّ أن يؤدّيها إليهم، ومن ملك الحياء لا يفكّر في تجاوز الآخرين، فكيف يفكّر في اغتصاب حقوقهم والاعتداء عليهم؟

من هنا فلا تجوز السخرية والاستهزاء، لأنّه انتهاك لحرّمات الآخرين، بل يجب أن يسود الاحترام المتبادل علاقات المؤمنين.

(١) سورة الحجرات، الآية ١١.

٤

السخرية تقضي على التنافس

التنافس يمثل جزءاً كبيراً من شخصية كلِّ إنسان، وإذا قُضي على هذه الصفة في الإنسان تراجع روح الإبداع، وقد تكون السخرية من طرق القضاء على التنافس.

٥

عدم الانتفاع بآيات الله تعالى

يقول الله العظيم: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١).

حيث تبين آيات هذا الدرس أنه ما دام الاستهزاء موجوداً، أي ما دام البشر غير مهتم بالحق، فإنه لا ينتفع بآيات الله الموجودة في نفسه وفي الكون من حوله والتي هي براهين على الحق، بل يحاول أن يتشبث ببعض الحجج الواهية حتى يردّ الحق وآياته، ومتى ما فشلت حجة من حججه، فإنه يسارع إلى حجة واهية أخرى.

فلو جاءت الآيات على شكل كتاب منزل من السماء، فإنه يقول: إنها سحر، ثم يطالب ربه بأن ينزل عليه الملائكة، ولكن هل هذا ينفعه؟

(١) سورة الأنعام، الآيات ٤ - ٥.

كلا، لأنّ الملك عندما يأتيه مثلاً فإنّما يأتيه بصورة إنسان
أو شبهه، ولكن ما دام يكفر بالرسول. فكيف لا يكفر
بالملائكة؟!

٦

السخرية والاستهزاء يحجب نور الوحي

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۗ﴾ (١) إِنَّ كَاذِبًا لَّيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنَّ صَبْرَنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ﴿١﴾.

يبين القرآن في هذه الآيات مصير المكذبين بالوحي؛ لعل القلوب تلين فتستقبل الرسالة، وأخذ يداوي أمراض القلوب الجاحدة.

ذلك أنّ مرض الاستهزاء بصاحب الرسالة - الرسول أو الإمام أو العالم أو المبلّغ - يقف حاجزاً دون استقبال نور الوحي.

ولكن لماذا استهزؤوا بالرسول الكريم؟

لأنّ قلوبهم أشربت بحبّ المادة، فلم تعد تعترف إلاّ

(١) سورة الفرقان، الآيات ٤١ - ٤٢.

بالثروة والقوّة والجاه العريض، وبهذه المقاييس وزنوا العلم والفضيلة، وأرادوا أن تكون موازين الربّ تابعة لأحداثهم الشاذة، ونظراتهم الضيقة.

وقد بيّن القرآن في مطلع سورة الفرقان سخف تلك المقاييس الماديّة، ولكنّه - كما يبدو لي - عاد هنا إلى ذات الحديث ليذكّرهم بخطأ منهجهم العلمي.

فهل من الصحيح أن نرفض إنذاراً وراءه التدمير والتبوير عبر الاستهزاء بمن يحمّله؟! هب أنّه كما يحسبون - حاشا لله - فهل من العقل أن نقع في البئر لمجرد أنّنا لا نكرم من أنذرنا؟

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾^(١) من هذا حتى نتبعه، أو نستجيب لإنذاره؟

(١) سورة الفرقان، الآية ٤١.

٧

يحيط بصاحبه في الآخرة

يقول الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾. كانوا يستهزئون بالعذاب، وها هو محيطة بهم، يحاصرهم دون أن يقدروا على رده، بينما استهزؤوا سابقاً به.

وهذا انتقام من الفكر الحق الذي سخروا منه، كما أنّ أفعالهم السيئة، تحوّلت إلى مشاكل وصعوبات دمّرت حياتهم الدنيوية. ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا﴾ فالسيئات التي مكروها في الحياة الدنيا بدت لهم على حقيقتها في عالم الآخرة. إذ إنّ النفس الأمّارة والشياطين من الجن والإنس كلّ أولئك يزيّنون للبشر سيئات أعمالهم، حتى تختفي ظاهر سوءاتها وتبدو لهم أنّها حسنات، وذلك بإظهار حسناتها، بينما في القيامة حيث تلبو السرائر تظهر سيئات أعمالهم التي اكتسبوها.

وقد تشير الآية إلى تجسّد الأعمال، حيث تصبح السيئات عقارب وحيّات ونيران ملتهبة، والدليل على ذلك قوله تعالى:

﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ أي أحاط بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١)،
فالرسالة ذاتها التي استهزؤوا بها أهلكتهم.

فالقرآن في يوم البعث يقود من أتبعه هنا إلى الجنة هناك،
ويسوق من تولى عنه هنا إلى النار هناك.

وهكذا كلّ رسالات الله على طول الخط في هذه الدنيا.

واليوم حيث يستبدّ بالمستكبرين في الأرض غرور القوّة،
ويفرحون بما لديهم من العلم، وينغلغون دون دعوات
الإصلاح التي يحملها أنصار الرسالة، ويستهزئون بالإنذار تلو
الإنذار الذي يبلغه أصحاب الرسالة بأنّ عاقبة هذه الحضارة
ليست بأفضل من عاقبة الحضارات الماديّة السابقة، وأنّ
الجهل، والأنانيّة، والظلم، والترف، والغفلة، وسكر الغنى،
وغرور القوّة، وكلّ الصفات الرذيلة التي انتشرت في الأرض
عاقبتها الدمار، إمّا بحرب ثالثة لا تبقي ولا تذر، أو بصاعقة
منشؤها ارتطام كوكب بكوكبنا، أو زلزال مدمر كالذي يتنبأ
به بعض العلماء فيما يتعلق بغرب أمريكا أو ما أشبهه.

وإذا كان كلّ ذلك الإنذار يذهب سدى فإنّنا نخشى من
مصير رهيب نسأل الله العليّ القدير أن يرحم البشرية، وأن
يهدينا والعالم إلى نور الإسلام الحقّ.

(١) سورة الزمر، الآية ٤٨.

٨

حجاب بين عقل الإنسان وبين الهداية

إنَّ الاستهزاء قد يكون أخطر حجاب يفصل بين عقل الإنسان وبين نور الهداية. ومَن أشدَّ ظلمًا لنفسه وللناس وللحقائق ممن أودع الله في قلبه فطرة الإيمان ثمَّ ذكَّره عبر رسالاته بآيات ربِّه فأعرض عنها ونسي ذنوبه؟! فجعل الله على قلبه ستاراً، ومنع عنه الفقه وجعل في أذنه قرأً فإذا به لا يهتدي أبداً.

التعالى على المجتمع

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾.

بسبب الانعزال النفسى عن المجتمع وعن خبراته وعقله، يستهزئون بأعمال المجتمع ويتصوَّرونها تصوَّراً معكوساً، وبذلك يعزلون أنفسهم عملياً عن المجتمع، إذ لا يساهمون في نشاطاته التي لا تعود بالنفع على المجتمع فقط بل عليهم أيضاً لو عملوا بها: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾.

وهذه النفسية المعقدة تسبب لهم ضياع فرص الهداية لهم إلى

(١) سورة البقرة، الآيات ١٣ - ١٥.

الأبد، إذ كلّموا سمعوا كلاماً فسّروه تفسيراً سلبياً واستهزؤوا به فبأي شيء يهتدون؟ من هنا قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي يعمون عن الحقيقة فلا يرونها، حيث يظّلون في حالة تردد وحيرة دائمة.

ويسمي القرآن النفاق هنا طغياناً لأنه لا ينشأ إلا بسبب فقدان العبودية لله والاستسلام لشهوات الذات، وضغوط المجتمع.

١٠

خور العزيمة وضعف الإرادة

قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١).

في تفسير علي بن إبراهيم قال: «كان قوم من المنافقين لما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك يتحدثون فيما بينهم ويقولون: أيرى محمد أن حرب الروم مثل حرب غيرهم لا يرجع منهم أحد أبداً، فقال بعضهم: ما أخلقه أن يخبر الله محمداً بما كنا فيه وبما في قلوبنا وينزل عليه بهذا قرآناً يقرؤه الناس، وقالوا هذا على حد الاستهزاء.

فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: «إِلْحَقِ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ اخْتَرَفُوا» فلحقهم عمار فقال: ما قلمت؟ قالوا: ما قلنا شيئاً إننا

(١) سورة التوبة، الآيات ٦٤ - ٦٥.

كنا نقول شيئاً على حد اللعب والمزاح، فأنزل الله: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَيْلَهُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١).

بالرغم من يقين المنافقين بأن الوحي حق، وخشيتهم من افتضاح أمرهم عن طريق نزول سورة قرآنية تكشف خطتهم وربما أسماءهم، بالرغم من ذلك فهم يستهزئون ولا يتخذون الرسالة أمراً جدياً لخور عزيمتهم وضعف إرادتهم وعصف الشهوات بنفوسهم المنهارة.

ولكن الله سوف يُخرج ما في قلوبهم وما يحذرون من نشره ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الاستخفاف بالرسالة واتخاذها هزواً، ﴿قُلْ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ﴾.

ولكن لماذا يستهزئ هؤلاء بالرسالة أو لا يؤمنون بأنها حق؟ بلى، ولكنهم يتخذون الحياة لعباً ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَيْلَهُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾، فليست هذه الحقائق قابلة للاستهزاء لأنها حقائق حاسمة ذات حظوة كبيرة بالنسبة لمستقبل البشر.

(١) بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٢٢١.

١١

عدم احترام الأبناء لأبائهم والعكس

قال أبو الحسن الأول عليه السلام: «قُمْ عَشُّ آلِ مُحَمَّدٍ وَمَأْوَى شَيْعَتِهِمْ، وَلَكِنْ سَيْهَلِكُ جَمَاعَةٌ مِنْ شَبَابِهِمْ بِمَعْصِيَةِ آبَائِهِمْ، وَالْإِسْتِخْفَافِ وَالسُّخْرِيَّةِ بِكِبْرَائِهِمْ وَ مَشَايِحِهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْهُمْ شَرَّ الْأَعَادِي وَ كُلِّ سُوءٍ»^(١).

حين تغيب الثقافة الدينية الأصيلة، تجدد السيئات مثل الاستهزاء والاستكبار والتطاول على الحقوق، تستشري في صميم المجتمع؛ فلا ترى الأب يحترم ابنه، ولا الابن يحترم أباه، وتتفشى البذاءة في الحديث لدى حصول الاختلاف، أو حتى في الحالات العادية.

وإنَّ مجمل هذه النصوص القرآنية تُحَرِّضُنَا فِيمَا تُحَرِّضُنَا عَلَى نَبذِ ثِقَافَةِ الْاِسْتِكْبَارِ، وَتُعَلِّمُنَا الْاَلْتِمَازَ بِحَقُوقِ الْآخَرِينَ، وَتَنْمِيَةُ فَضِيلَةِ احْتِرَامِ الْحَرَمَاتِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ وَشَبِيهَا تَعْنِي قَطْعَ الطَّرِيقِ عَلَى التَّجَرُّؤِ عَلَى الْحَقَائِقِ وَالْآيَاتِ.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٧، ص ٢١٤.

١٢

مضارقة الإيمان

وهو ما نستشفه من خلال الأحاديث المتواترة عن الرسول الأكرم ﷺ، والأئمة الأطهار عليهم السلام في هذا الشأن وإليك قبس منها:

جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُسْتَهْزِئِينَ يُفْتَحُ لِأَحَدِهِمْ بَابُ الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ: هَلُمَّ فَيَجِيءُ بِكُرْبِهِ وَعَمِيهِ، فَإِذَا جَاءَ أُغْلِقَ دُونَهُ»^(١).

وعنه عليه السلام: «لَا تُحَقِّرَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ صَغِيرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ كَبِيرٌ»^(٢).

وعنه أيضاً عليه السلام: «حَسْبُ ابْنِ آدَمَ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُحَقِّرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ حَقَّرَ مُؤْمِنًا مُسْكِينًا لَمْ يَزَلْ

(١) كنز العمال، ج٣، ص ٦٥٠.

(٢) تنبيه الخاطر، ص ٢٥.

(٣) تنبيه الخاطر، ص ٣٦٢.

اللهُ لَهُ حَاقِرًا مَافِتًا حَتَّى يَرْجِعَ عَن مَحَقَّرَتِهِ إِيَّاهُ»^(١).

وفي الحديث القدسي: «لِيَأْذُنُ بِحَرْبٍ مِنِّي مَنْ أَذَلَ عَبْدِي
الْمُؤْمِنَ»^(٢).

(١) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١٥٧.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٢٦٩.



الفصل السادس:

عاقبة السخرية و الاستهزاء



خلاصة الفصل السادس

- **أولاً:** من لا يقرأ كتاباً يهديه إلى الحقّ ويقول مستخفاً به: ما هذا؟! إنه يستخف بالحقّ لا بالكتاب. كذلك من لا ينظر إلى آيات الله في خلقه نظراً عبرياً، أو لا يتدبّر في القرآن فإنه يكذب بالحقّ قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾. إنّ فطرة الإنسان تدفعه إلى البحث عن الحقّ، ولكن الذي دنّس فطرته بوسخ الشرك وسترها بحجب الذنوب ينكر الحقّ، ويكذب به حتى وإن جاءه بدون بحث أو صعوبة.
- **ثانياً:** يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١)، نستفيد من الآية أنّه يذكرنا الربّ

(١) سورة الروم، الآية ١٠.

يأحدي سننه في الحياة والتي قد لا يراها البعض، وهي: أن عاقبة الذين أساؤوا ستكون أسوأ عاقبة، بأن كذبوا بآيات الله، ومن ثم استهزؤوا بها. وهذه الآية تهز الإنسان السوي من الأعماق، ذلك أن الشيطان حين يخدع البشر يهون عليه السيئات إلى أن يستدرجه من الذنب الصغير ثم إلى أكبر منه، حتى تغطي الذنوب كل أنوار قلبه، ومن ثم يأتي إلى عقيدته ويسلبها منه، ويتركه في جهنم، وإن السيئات تشبه منحدرًا، كلما هوى المرء فيها أكثر ازدادت جاذبية الأرض أكثر.

• **ثالثاً:** قال الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾^(١)، سيئات الأعمال هي حقائقها، غير البادية في الدنيا، تبدو لهم يوم القيامة في أشكال مخيفة، ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٢)، بأن عرفوا مدى قبحها، وعينوا جسيم عقابها.

• **رابعاً:** إن الله خلق عباده ليرحمهم، وأكرمهم بالإرادة والحرية، فاختاروا طريق الهلاك، فبعث إليهم الرسل

(١) سورة الزمر، الآية ٤٨.

(٢) سورة ق، الآية ٢٢.

لينذروهم من مغبة أعمالهم، ولكنهم استهزؤوا بهم،
وعرضوا أنفسهم للهلاك الذي يجرّ الحسرات.

- **خامساً:** قال الله تعالى: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ حين يرى المستهزئون نتائج أعمالهم فتلك سخرية واقعية.

ففي عيون أخبار الرضا عليه السلام: عن ابن فضال، قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾، وعن قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، وعن قوله: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾، وعن قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾، فقال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَسْخَرُ وَلَا يَسْتَهْزِئُ وَلَا يَمْكُرُ وَلَا يُخَادِعُ وَلَكِنَّهُ عَزَّوَجَلَّ يُجَازِيهِمْ جَزَاءَ السُّخْرِيَّةِ وَجَزَاءَ الْإِسْتِهْزَاءِ وَجَزَاءَ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا»^(١).

- **سادساً:** بسبب تلك المعاناة الشديدة والآلام المبرحة التي ذاقها المؤمنون المجاهدون في سبيل الله من أيدي المجرمين تنقلب الصورة تماماً في يوم الجزاء ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾^(٢).

(١) بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢١٩.

(٢) سورة المطففين، الآية ٣٤.

• سابعاً: قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾^(١) إنها حقاً دعوة بعذاب الاستئصال الذي حَقَّتْ به كلمة الله عليهم، فما بقي يوماً أحد إلا من آمن بنوح وركب السفينة.

ومن هنا نهتدي إلى أن عذاب الاستئصال يأتي بهدف تطهير الأرض من العناصر الفاسدة التي لا تنفع معها النصيحة، ولعلنا نستفيد من ذلك أن مبرر وجود الإنسان هو ما يشتمل عليه من الحق في كيانه، فإذا صار خلواً من أي حقٍّ فَقَدَ مبرر الوجود تشريعياً وتكوينياً مما يؤدي به إلى الهلاك، وهذه الحقيقة تنطبق بصورة أجلى على الإنسان - المجتمع منها على الإنسان - الفرد .

(١) سورة نوح، الآية ٢٦.

كما أنّ لكلّ سلوك يصدر من الإنسان - إيجابياً كان أم سلبياً- أثر دنيوي وعاقبة أخروية، كذلك هي صفة السخرية والاستهزاء لها أثرها في الدنيا وعاقبتها في الآخرة، ومن أهم عواقبها التالي:

١. إنّها تردي صاحبها في الهلكة.
٢. تكون لهم عاقبة السوأى.
٣. أنّها تتجسد أعمالهم السيئة يوم القيامة.
٤. توصل صاحبها إلى الحسرة في يوم القيامة.
٥. سخرية الربّ ممن يسخر بالمؤمنين.
٦. لهم الويل.
٧. توجب سُخرية المؤمنين من الكافرين يوم القيامة.
٨. عاقبة السخرية من الأنبياء ﷺ نزول العذاب.

١

إنها تردي صاحبها في الهلكة

يستخفّ الكفار بآيات ربّهم، والواقع أنّهم يستخفّون بالحقّ الذي تدلّ عليه تلك الآيات. إنّ من لا يحضر عند من يُذكّر بالله، ويقول: من هذا حتى أحضر عنده؟! إنّه لا يستخفّ بهذا الرجل. بل بالحقّ الذي يحمله.

كذلك من لا يقرأ كتاباً يهديه إلى الحقّ ويقول مستخفاً به: ما هذا؟! إنّه يستخفّ بالحقّ لا بالكتاب.

كذلك من لا ينظر إلى آيات الله في خلقه نظراً عِبرياً، ولا يتدبر في القرآن فإنّه يكذب بالحقّ، قال تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ .

إنّ فطرة الإنسان تدفعه إلى البحث عن الحقّ، ولكن الذي دنس فطرته بوسخ الشرك وسترها بحجب الذنوب ينكر الحقّ، ويكذب به حتى وإن جاءه بدون بحث أو صعوبة.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١)، إن مثل هؤلاء لا يعرفون أهمية الحقّ ودوره في فلاحهم وسعادتهم، ومدى حاجتهم إليه، وهذا الجهل سيرديهم في الهلكة، لأنّ الحقّ الذي يستخفّون به، وينكرون دوره في حياتهم سوف ينتقم منهم غداً حين يخالفونه.

إنّك إذا أنكرت حقيقة الجاذبية في الأرض وأعرضت عمداً عن كلّ الآيات التي تدلّ عليها، وإذا قيل لك: إنّ سقوط التفاح من الشجر وانحدار السيل، وتساقط المطر كلّ ذلك يدلّ على الجاذبية، وإنّك لو قفزت من عليّ فسوف تسحبك الأرض وتحطم عظامك؛ قلت: كلا.. ولم تستمع إلى الأدلة، بل أعرضت عنها. ماذا ستكون النتيجة؟ بالطبع إنّ هذا الحقّ الذي أنكرته اليوم، سيأتيك غداً ليتقم منك، بأن تسقط في يوم من الأيام فإذا بعظامك محطمة.

كذلك لو أنكرت حقيقة أنّ السكوت على حكم الظالم سيحطّم سعادة الشعب، ولم تستمع إلى آيات هذا الحقّ المتمثلة في مئات العبر التاريخية الغابرة، والتجارب البشرية الحاضرة، فسوف تسكت عن الظالم، وتكون أنت أول من يحيط به ظلم الظالم، ويحطّم سعادته.

(١) سورة الأنعام، الآية ٥.

٢

تكون لهم عاقبة السوأى

يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّؤَىٰ (١)
 أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٢)، نستفيد من
 الآية أنه يذكرنا الربُّ بأحد سننه في الحياة والتي قد لا يراها
 البعض، وهي: أن عاقبة الذين أساءوا ستكون أسوأ عاقبة،
 بأن كذبوا بآيات الله، ومن ثم استهزؤوا بها.

وهذه الآية تهز الإنسان السوي من الأعماق، ذلك أن
 الشيطان حين يخدع البشر يهون عليه السيئات إلى أن يستدرجه
 من الذنب الصغير ثم إلى أكبر منه، حتى تغطي الذنوب كل
 أنوار قلبه، ومن ثم يأتي إلى عقيدته ويسلبها منه، ويتركه في
 جهنم، وإن السيئات تشبه منحدرًا، كلما هوى المرء فيها أكثر
 ازدادت جاذبية الأرض أكثر.

ولكن السؤال: كيف يصل البشر إلى هذه المرحلة من

(١) السوأى: العقوبة المتناهية في السوء.

(٢) سورة الروم، الآية ١٠.

الضلال، فيكذب بآيات الله ويستهزئ بها؟

والجواب: إنَّ للإنسان في داخله قوَّة تبريرية، تبرر لضميره فعل السيئات، فقد يرى -مثلاً- يتيماً يمسك قطعة خبز يأكلها، فيسلبها منه، ويأخذها عنوة، ثمَّ يشعر بوخز الضمير، وعتاب الوجدان، فيعمل على تبرير عمله، بمجموعة من الأعذار المعلبة، فيقول مثلاً:

- **ألف:** أنا جائع واليتيم ليس بجائع.
- **باء:** الناس يعطون اليتيم ولا يعطونني.
- **جيم:** من الذي يقول بأنَّ اليتيم ليس بسارق للخبز، وإلَّا لما أكلها بعيداً عن الأنظار؟!
- **دال:** من الذي يدَّعي بوجود العطف على اليتيم؟!

وشيئاً فشيئاً تتبدَّل قيم هذا الإنسان حتى يُصدِّق قناعاته الجديدة، فهذا الذي عمل الذنب بدافع الغريزة -الجنس، الجوع، الخوف، الحرص..- يفعل الذنب بعدئذٍ بدافع التعوُّد على الذنب نفسه، فيصبح مجرماً محترفاً.

وهكذا كان نمرود وفرعون وسائر المستكبرين، فهم لم يدَّعوا الألوهية من أوَّل يوم، بل استدرجهم الشيطان حتى أنساهم ذكر الله، وأصبحوا كذلك يكذبون بآياته، ويستهزئون بها.

من هنا يجب على الإنسان أن يحسب حساب الخطوة الأخيرة حينما يقرر اتباع الشيطان في الخطوة الأولى، يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١)، أي كانت عاقبتهم أسوأ عاقبة. ونعوذ بالله فهذا البشر الضعيف الحقير المستكين المحتاج ليس فقط يكذب بآيات الله، بل ويستهزئ بها.

(١) سورة الروم، الآية ١٠.

٣

تتجسد أعمالهم السيئة يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾^(١)، سيئات الأعمال هي حقائقها، غير البادية في الدنيا، تبدو لهم يوم القيامة في أشكال مخيفة، ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَك فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٢)، بأن عرفوا مدى قبحها، وعانوا جسيم عقابها.

ونتساءل: لماذا قال ربنا: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾، ولم يقل: وبداهم سيئات عملوها؟

ربما لأنهم في الآخرة لا تبدو لهم الأعمال السيئة بنفسها، ولكن نتيجة عمل السيئات من آثار مدمرة أو تجسّمها كالحيات والعقارب والحميم والعذاب. ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

ففي الآخرة تنزل بهم نتيجة الاستهزاء، وتحيط بهم إحاطة

(١) سورة الزمر، الآية ٤٨.

(٢) سورة ق، الآية ٢٢.

السوار بالمعصم، وقد قال البعض إن كلمة ﴿وَحَاقٌ﴾ مشتقة من مادة الحَقِّ، ويكون معناها آتئذ أن ذلك الذي سخرُوا منه -زعماً بأنَّ باستطاعتهم التهرب منه- قد نزل بهم، وأصبح حقاً واقعاً لا مناص من الاعتراف به.

٤

توصل صاحبها إلى الحسرة في يوم القيامة

يقول الله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١)، إنَّ الله خلق عباده ليرحمهم، وأكرمهم بالإرادة والحرية، فاختاروا طريق الهلاك، فبعث إليهم الرسل لينذروهم من مغبة أعمالهم، ولكنهم استهزؤوا بهم، وعرضوا أنفسهم للهلاك الذي يجر الحسرات.

كيف ضيَّعوا فرصتهم الأخيرة بالاستهزاء؟! وكيف أصبحوا وقود جهنم وكان من المرتقب أن يكونوا ضيوف الرحمن في الجنة؟!!

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، ولعلَّ الاستهزاء هو أشدُّ ألوان الكفر، وأبعد سبل الضلالة، حيث يعيش صاحبه حالة العثية واللاهتمام، ومثله في هذا المقام مثل الطبيب الذي ينصح المريض بالدواء، ويحذره من

(١) سورة يس، الآية ٣٠.

الهلاك، فبدل أن يشكره المريض، ويبادر إلى تنفيذ أوامره تراه
يضحك منه، أوليس مثل هذا الرجل يستدعي الإشفاق
والحسرات؟!!

٥

سخرية الربّ ممن يسخر بالمؤمنين

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

إنّ المنافقين يفسرون أبداً أعمال الصالحين بمقاييسهم الماديّة، ويزعمون أنّ وراء كلّ عملٍ صالحٍ مصلحة ماديّة عاجلة، لا يظهر صاحبه كما هو، لا يفعلون الخير إلاّ رياءً وطلباً للأجر العاجل، لذلك تجدهم يعيبون على الذين يعملون وينفقون تطوعاً لله وتصديقاً بوعدده دون أن يخالطهم رياء أو سمعة ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ فيتهمون هذه الطائفة بالرياء.

أمّا الطائفة الفقيرة من المؤمنين فترى هؤلاء المنافقين كيف يسخرون منهم ل فقرهم، وقلة عطائهم ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ لأنهم فقراء لا يملكون إلاّ قوّة

(١) سورة التوبة، الآية ٧٩.

البدن وعمل اليد فيرتزون عليها - وإذا فقدوا العمل - فقدوا الرزق كما العمال والفلاحين، فيسخر المنافقون - الذين غالباً ما يكونون من الطبقة المترفة - منهم ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ حين يرون نتائج أعمالهم فتلك سخرية واقعية.

ففي عيون أخبار الرضا عليه السلام: عن ابن فضال، قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾، وعن قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، وعن قوله: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ وعن قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾، فقال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَسْخَرُ وَلَا يَسْتَهْزِئُ وَلَا يَمْكُرُ وَلَا يُخَادِعُ، وَلَكِنَّهُ عَزَّوَجَلَّ يُجَازِيهِمْ جَزَاءَ السُّخْرِيَّةِ وَجَزَاءَ الْإِسْتِهْزَاءِ وَجَزَاءَ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوقًا كَبِيرًا»^(١).

وهذه سخريتهم لفظية كلامية لا أثر لها، وعلينا ألا ننهزم أمام سخرية المنافقين، ولا يفقد المؤمن إحساسه بشخصيته أمام سخرية المنافق حتى ولو كان الأخير أغنى منه وأقدر، كما يجب ألا يستقل المؤمن عطاءه في الله، إن لم يكن يملك غيره لأن الله لا ينظر إلى قدر العطاء بل إلى قدر المعطي وسلامة نيته.

من هنا سُئِلَ الصَّادِق عليه السلام: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:

«جُهْدُ الْمُقِلِّ»^(٢).

(١) بحار الأنوار، ج ٣، ص ٣١٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ١٧٩.

٦

لهم الويل

يقول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^(١).

معنى الويل واد في جهنم.

قال بعضهم: إنّ الهمز هو الاغتياب بالقول، بينما اللمز: هو الاغتياب بالإشارة، وأتّهما معاً بالتالي نوع الحديث عن غائب، وقال بعضهم: إنّ اللمز هو الاغتياب، أو ذكر معائب الناس، والمشّي بالنميمة.

ويبدو أنّ الهمز أشدّ من اللمز، فإذا كان الهمز بالوجه فاللمز بالغيبة، وإن كان الهمز بالنطق فاللمز بالإشارة، وإذا كان الهمز يهدف العلو في الأرض، فإنّ اللمز يبقى الفساد فيها. الأول سمة التكبر والتجبر، والثاني علامة المكر والاحتيال، وقطع الأرحام، وإثارة الفتن.

في كتاب الخصال عن أبي عبد الله عن أبيه عن جده عليه السلام

(١) سورة الهمزة، الآية ١.

قال: «المُسُوخُ مِنْ بَنِي آدَمَ ثَلَاثَةٌ عَشَرَ» إلى أن قال: «وَأَمَّا الْعَقْرُبُ فَكَانَ رَجُلًا هَمَّازًا لَمَّازًا فَمَسَحَهُ اللَّهُ عَقْرَبًا»^(١).

في عوالي اللئالي قال عليه السلام: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ قَوْمًا يُفْطَعُ اللَّحْمُ مِنْ جُنُوبِهِمْ ثُمَّ يُلْقَمُونَهُ، وَيُقَالُ: كُلُوا مَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ مِنْ لَحْمِ أَخِيكُمْ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرَيْلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الْهَمَّازُونَ مِنْ أُمَّتِكَ اللَّمَّازُونَ»^(٢).

(١) الخصال، ج ٢، ص ١١.

(٢) عوالي اللئالي، ج ١، ص ٨٩.

٧

توجب سُخرية المؤمنين من الكافرين يوم القيامة

يقول الله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرْبَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبَ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(١).

بسبب تلك المعاناة الشديدة والآلام المبرحة التي ذاقها المؤمنون المجاهدون في سبيل الله من أيدي المجرمين تنقلب الصورة تماماً في يوم الجزاء ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾، قال بعضهم: عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾^(٢)، قال: فهو حارث بن قيس وأناس معه كانوا إذا مرّ عليهم أمير المؤمنين عليه السلام قالوا: انظروا إلى هذا الذي اصطفاه محمد واختاره من أهل بيته وكانوا يسخرون منه، فإذا كان يوم

(١) سورة المطففين، الآيات ٣٤ - ٣٦.

(٢) سورة المطففين، الآية ٢٩.

القيامة فتح بين الجنة والنار باب وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على الأريكة متكئ، فيقول: هل لكم؟ فإذا جاؤوا سدّ بينهم الباب فهو كذلك يسخر منهم ويضحك.

قال الله عزّوجلّ: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٢٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾، والمؤمنون جالسون على الأرائك فرحين بما آتاهم الله، وينظرون إلى ما يجري هناك في نار جهنم ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾.

إلى ماذا ينظرون؟ إنهم ينظرون إلى مجريات جزاء الكفار اليومية، وعقابهم المتتابع الذي يتصل بجرائمهم المتتالية في الدنيا. ﴿هَلْ تُؤِيبُ الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي ينظرون لكي يروا هل أتهم ثوبوا وجوزوا؟

وبالطبع: إنهم يجدون هذا الجزاء لحظة بلحظة، ولا ينتهي جزاؤهم لأنه مستمر، ذلك أنّ كلّ فعلة خاطئة قاموا بها تجازى بمئات السنين، فيستمر النظر ويستمر الجزاء.

أعاذنا الله من مثل هذه العاقبة السوأى، وجعلنا من أهل جنته ورضوانه.

٨

عاقبة السخرية من الأنبياء عليهم السلام نزول العذاب

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٦٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٦٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾^(١).

عن اسمعيل الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إِنَّ نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ لَمَّا غَرَسَ النَّوَى مَرَّ عَلَيْهِ قَوْمُهُ فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيَسْخَرُونَ وَيَقُولُونَ: قَدْ قَعَدَ غَرَّاسًا، حَتَّى إِذَا طَالَ النَّخْلُ وَكَانَ جَبَّارًا طَوَالًا قَطَعَهُ ثُمَّ نَحْتَهُ، فَقَالُوا: قَدْ قَعَدَ نَجَّارًا، ثُمَّ أَلْفَهُ فَجَعَلَهُ سَفِينَةً فَمَرُّوا عَلَيْهِ فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيَسْخَرُونَ وَيَقُولُونَ: قَدْ قَعَدَ مَلَاحًا فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا»^(٢).

وفي الكافي عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام في

(١) سورة نوح، الآيات ٢٦ - ٢٨.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٣٥٥.

حديث طويل يقول فيه: «وَلَبِثَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْمِهِ **﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾** يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فَيَهْزَهُونَ بِهِ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمْ دَعَا عَلَيْهِمْ فَقَالَ **﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾** ﴿١﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاغِرًا كَقَرَارًا».

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نُوحٍ أَنْ اصْنَعْ سَفِينَةً وَأَوْسِعْهَا وَعَجِّلْ عَمَلَهَا، فَعَمِلَ نُوحٌ سَفِينَةً فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ بِيَدِهِ، فَاتَى بِالْخَشَبِ مِنْ بُعْدِ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا»^(١)

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾
إنها حقاً دعوة بعداب الاستئصال الذي حقت به كلمة الله عليهم، فما بقي يومئذ أحد إلا من آمن بنوح وركب السفينة. ومن هنا نهدي إلى أن عذاب الاستئصال يأتي بهدف تطهير الأرض من العناصر الفاسدة التي لا تنفع معها النصيحة، ولعلنا نستفيد من ذلك أن مبرر وجود الإنسان هو ما يشتمل عليه من الحق في كيانه، فإذا صار خلواً من أي حق فقد مبرر الوجود تشريعياً وتكوينياً مما يؤدي به إلى الهلاك.

وهذه الحقيقة تنطبق بصورة أجلى على الإنسان - المجتمع

(١) الكافي، ج ٨، ص ٢٧٩.

منها على الإنسان -الفرد، ومن هنا نفهم الآية الكريمة:
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾^(١)،
 وكذلك الروايات التي تقول: **«إِنَّ اللَّهَ لَيَدْفَعُ بِالْمُؤْمِنِ الْوَاحِدِ
 عَنِ الْقَرْيَةِ الْفَنَاءَ»**^(٢)، لأنه لولا وجود المؤمنين من الناس لما
 بقي مبرر لوجود الآخرين.

ثم يبين شيخ المرسلين الخلفيات والحيثيات وراء دعوته على
 قومه، فهو لم يدعُ عليهم لأنه ملَّ وتعب من الجهاد في سبيل
 الله، ولا لأنه يحمل العداة الشخصي ضدَّهم لما لقيه من الأذى
 والمعاناة على أيديهم، إنّما كان منطلقه في ذلك رسالياً خالصاً
 لوجه ربّه؛ **﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾** الموجودين،
 فيزيدون الضالين ضلاله، ويؤثرون على من آمن ليعود كافراً
 مشركاً مثلهم.

وفي هذه الآية يجب أن نقرأ مدى الضغط الذي يواجهه
 المؤمنون حينما يستقلون برأيهم ومسيرتهم عن مجتمع الضلال
 والفساد.. إنه يبلغ حدّاً يُخشى عليهم من الانحراف بسببه،
 هذا من جانب، ومن جانب آخر إنّهُ لا يُرتجى خير ولا
 مستقبل سليم للأجيال التي تنسل منهم، باعتبارهم قد

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥١.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٣٥٣.

أحكموا أساليبهم التربوية السيئة التي من شأنها بناء شخصية الأولاد على أساس الباطل والعداء للقيادة الرسالية وخط المؤمنين ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾، بالوراثة والتربية.

والفاجر هو من لا يقف عند حد شرع أو عرف، ولا يقيم وزناً لقيمة لا في نفسه ولا في المجتمع، إنّما يطلق لشهواته العنان، والكفار صيغة مبالغة من الكفر وهو خلاف الإيمان، والكفور خلاف الشكر.



الفصل السابع:

مسؤوليتنا تجاه السخرية و الاستهزاء



خلاصة الفصل السابع

• **أولاً:** لعلّ من أكثر ما يؤلم الداعية ويشير أعصابه، ويستقطب اهتمامه هم المستهزئون الذين يستخفون بالرسالة، والله سبحانه وعد أن يكفي رسوله والدعاة إلى الله شرّ هؤلاء ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(١).

• **ثانياً:** من أجل مقاطعة برامج السخرية والاستهزاء والتصدي لها لكي لا يستميل الكفار بعض ضعاف النفوس من أبناء الأمة، لعلّه من أجل ذلك منع الإسلام الاستماع إلى دعايات الكفار المضللة التي يستهدفون من ورائها التأثير على البسطاء، ومن ثمّ استدراجهم إلى الباطل.

قال ربّنا سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ

(١) سورة الحجر، الآية ٩٥.

أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا
فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ^(١).

• **ثالثاً:** قد يكون موقف السخرية نابعاً من حالة اللامبالاة والزعم بأن الخلق عبث لا هدف له، ولا بدّ من معالجة هذا الموقف، بتذكير البشر بالحساب الدقيق ثمّ الجزاء الأوفى الذي ينتظره بعد الموت، وأنّ كلّ شيء خلق له هدف وبقدر.

• **رابعاً:** المؤمنون في الدنيا عرضة لأصناف المشاكل والفتن ومنها السخرية والضحك و.. ولكنهم استقاموا وصبروا فكان جزاؤهم الجنة ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٢)، ويبدو من الآية أنّ من أعظم الصبر الصبر على تجريح الشخصية.

• **خامساً:** كي يطهر البشر قلبه من دوافع السخرية والاستهزاء فإنّ علينا أن نذكّره (كما عليه هو أن يتذكّر) بمصير المستهزئين بالحقّ، المعرضين عن آياته كيف أنّهم دُمّروا شرّاً تدمير، وقد ذكرنا سابقاً العواقب والنتائج الوخيمة التي تلحق الساخرين في الدنيا والآخرة.

(١) سورة النساء، الآية ١٠٤.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ١١١.

هنالك عدّة أمور تأتي في سياق الحدّ من السخرية والاستهزاء منها:

١. التوجه إلى الله.
٢. مقاطعة برامج السخرية والاستهزاء.
٣. كلّ شيء خُلق لهدف.
٤. الصبر والاستقامة.
٥. محاربة القشرية وتعميق اليقين.
٦. التذكير بمصير المستهزئين.
٧. التقيد بالأحكام الشرعيّة.

١

التوجه إلى الله

لعل من أكثر ما يؤلم الداعية ويشير أعصابه، ويستقطب اهتمامه هم المستهزئون الذين يستخفون بالرسالة، والله سبحانه وعد أن يكفي رسوله والدعاة إلى الله شر هؤلاء ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(١)، في التفاسير أنهم كانوا في عهد الرسول ﷺ خمسة نفر من قريش^(٢) أو ستة^(٣)، فأهلكهم الله عن آخرهم.

فعن أبان بن عثمان الأحمر رفعه قال: «كَانَ الْمُسْتَهْزِئِينَ خَمْسَةً مِنْ قُرَيْشٍ، الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةَ الْمَخْزُومِيُّ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلِ السَّهْمِيِّ، وَالْحَارِثُ بْنُ حَنْظَلَةَ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَعُوثَ بْنِ وَهَبِ الزُّهْرِيِّ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُظَلِّبِ بْنِ أَسَدٍ، فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّهُ قَدْ أَخْرَاهُمْ فَأَمَاتَهُمُ اللَّهُ بِشَرِّ مَيَاتٍ»^(٤).

(١) سورة الحجر، الآية ٩٥.

(٢) تفسير مجمع البيان، ج ٦، ص ٤٤٩.

(٣) راجع تفسير التبيان للطوسي، ج ٦، ص ٣٥٦.

(٤) تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٥٢.

وذلك لأنهم كلما خرج رسول الله ﷺ فقام على الحجر فقال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ، أَدْعُوكُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَأَمْرُكُمْ بِخَلْعِ الْأَنْدَادِ وَالْأَصْنَامِ، فَأَجِيبُونِي تَمْلِكُوا بِهِ الْعَرَبَ، وَتَدِينُ لَكُمْ الْعَجَمُ، وَتَكُونُوا مُلُوكًا فِي الْجَنَّةِ»، فاستهزؤوا منه، وقالوا: جنّ محمد بن عبد الله، ولم يجسروا عليه لموضع أبي طالب^(١).

وهم في الواقع لا يستهزئون بالنبي الأكرم ﷺ إنما هم مشركون، وهم أعداء الله ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٢)، فمشكلتهم ليست معك لذلك لا يضيقتن صدرك بأقوالهم.

ولكن الرسول بشر، وكان ﷺ يحبّ رسالته ويتفانى من أجلها، فلم يكن من السهل عليه أن يسمع استهزاءهم، لذلك سلاه ربه سبحانه قائلاً: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾^(٣).

فعن حفص بن غياث قال: قال لي أبو عبد الله ﷺ: «يَا حَفْصُ إِنَّ مَنْ صَبَرَ صَبَرَ قَلِيلًا، وَإِنْ مَنْ جَزَعَ جَزَعَ قَلِيلًا»، ثم قال: «عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ

(١) تفسير الصافي، ج ٣، ص ١٢٤.

(٢) سورة الحجر، الآية ٩٦.

(٣) سورة الحجر، الآية ٩٧.

مُحَمَّدًا فَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ وَالرَّفْقِ، فَصَبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى نَالُوهُ
بِالْعَظَائِمِ وَرَمَوْهُ بِهَا، فَضَاقَ صَدْرُهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ
نَعَلِمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾^(١). والحديث طويل أخذنا منه
موضع الحاجة.

وأمر الله نبيه بأن يسبح الله كلما ضاق صدره فإنه منزه عن
أقوالهم ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، التسييح إشارة إلى أسماء الله
الجلالية، والحمد إشارة إلى أسمائه الكمالية. على المؤمن أن ينزه
الله عن الضعف والعجز والموت والغفلة... كما يذكره بأنه
الحي القيوم العليم القدير...

﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾^(٢) لله بالصلاة، وكلما سجد العبد
لربه تعالى عن التأثر بأذى الكفار واستهزائهم.

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٧.

(٢) سورة الحجر، الآية ٩٨.

٢

مقاطعة برامج السخرية والاستهزاء

من أجل مقاطعة برامج السخرية والاستهزاء والتصدي لها لكي لا يستميل الكفار بعض ضعاف النفوس من أبناء الأمة، لعل من أجل ذلك منع الإسلام الاستماع إلى دعايات الكفار المضللة التي يستهدفون من ورائها التأثير على البسطاء، ومن ثم استدراجهم إلى الباطل.

قال ربنا سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ﴾^(١) الكفر هو الإنكار المغلف بما يزعم صاحبه أنه استدلال عقلي.

واليوم نرى الإعلام الساخر الذي يُعتبر تقليداً أعمى لما هو موجود في الغرب، وبات يصنع الرأي العام ويشكل قناعات عند البعض.

(١) سورة النساء، الآية ١٠٤.

وقد حدد الإمام عليّ عليه السلام ما فرض الله على الأذنين في قوله: «أَمَّا مَا فَرَضَهُ عَلَى الْأَذُنَيْنِ؛ فَالِاسْتِمَاعُ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِنْصَاتُ لِمَا يُتْلَى مِنْ كِتَابِهِ، وَتَرْكُ الْإِضْغَاءِ لِمَا يُسْخِطُهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَجُوزُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ﴾^(٢)، ثُمَّ اسْتَشْنَى بِرَحْمَتِهِ مَوْضِعَ النِّسْيَانِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾^(٤).

من استمع إلى من يمثل الكفر والنفاق فقد يخاف عليه أن

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٠٤.

(٢) سورة النساء، الآية ١٠٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٦٨.

(٤) مستدرک الوسائل، ج ١١، ص ١٤٣.

يكون ضمن ولاية الشيطان فيصيبه الله بعذابهم، بينما العكس هو المطلوب وهو الاستماع للصالحين والمصلحين فقد قال لقمان لابنه: « يَا بُنَيَّ صَاحِبِ الْعُلَمَاءِ، وَأَقْرَبِ مِنْهُمْ وَجَالِسُهُمْ، وَزُرْهُمْ فِي بُيُوتِهِمْ؛ فَلَعَلَّكَ تُشَبِّهُهُمْ فَتَكُونَ مَعَهُمْ، وَاجْلِسْ مَعَ صُلَحَائِهِمْ فَرَبَّمَا أَصَابَهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ فَتَدْخُلْ فِيهَا فَيُصِيبَكَ، وَإِنْ كُنْتَ صَالِحًا فَأَبْعُدْ مِنَ الْأَشْرَارِ وَالسُّفَهَاءِ فَرَبَّمَا أَصَابَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ فَيُصِيبُكَ مَعَهُمْ، فَقَدْ أَفْصَحَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١)، وبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾^(٢)، يَعْنِي فِي الْإِثْمِ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(٣)»^(٤).

و الاستهزاء هو محاولة مفضوحة للتأثير على البسطاء عن طريق تهوين القيم الرسالية في أعينهم، ويجب مقاطعة مجالس الكفر والاستهزاء حين تغيير طابعها العدائي، وتبديل موضوع الحديث، قال تعالى: ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾.

(١) سورة الأنعام، الآية ٦٨.

(٢) سورة النساء، الآية ١٤٠.

(٣) سورة هود، الآية ١١٣.

(٤) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٨٩.

وحين يجلس الإنسان في محفل يستمع فيه إلى إنكار الرسالة، والاستخفاف بها، ثم لا يردّ ولا يتأثر، فإنّه محسوب من أصحاب هذا المحفل الفاجر ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ أي إنكم منافقون إذ ذاك كما هم كافرون، وجزاؤكم أنثذ هو جزاء مشترك وهي النار ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾^(١).

ونستفيد من هذه الآية الأنفة الذكر أنّ من مراتب النهي عن المنكر مقاطعة الذين يقومون بالمنكر، مثل ترك مجالسة الذين يعرضون عن آيات الله، ويحتمل أن يكون ترك مثل هذه المجالس واجباً بذاته، بالإضافة إلى أنّه واجب من باب النهي عن المنكر؛ إذ الحضور في مجالس أهل البدع والضلالة حرام -فيما يبدو- والله العالم.

وينبغي عدم الاسترسال مع التيارات الباطلة وأصحاب الأهواء والشهوات لقوله تعالى عن أولئك الذين دخلوا جهنم بسبب: ﴿وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾^(٢) لماذا؟ لأنّ الخوض مع الخائضين والاسترسال مع الساخرين جرم عظيم يرتكبه الإنسان في حقّ نفسه، وهو يعتبر كذلك

(١) سورة النساء، الآية ١٠٤.

(٢) سورة المطففين، الآية ٤٥.

من مصاديق الشرك بالله، الذي يستوجب عند الله أشد العذاب، لأنّه عامل رئيسي من عوامل خطأ الإنسان وانحرافه وضلاله^(١).

وقد جاءت رسالات الله تهدي الإنسان إلى ذاته، ومعرفة كرامته عند الله، وآفاق عالمه الكبير، في حين الشيطان وأولياؤه يريدون تضليل الإنسان عن نفسه، وتجهيله بقيمتها وكرامتها ودورها المرسوم في انتخاب الخير ومحاربة الشر.

ومن هنا نجد الطغاة والمترفين اليوم قد تسلّحوا بأجهزة إعلامية فائقة الكفاءة من أجل سلب الاختيار من الإنسان الفرد، وقولبة شخصيته ضمن المسارات التي يختارونها له، وتلقّي المواقف والأفكار الجاهزة من خلال وسائل السلطة.

ولقد استطاعت الأنظمة الاستكبارية في الغرب ربط شعوبها بوسائلها الإعلامية بالخصوص في القضايا السياسية، فهي تخوض حيثما خاضت حكوماتها وأحزابها.

والشاشة الصغيرة وشبكات الصحف الكبيرة أصبحت اليوم آلهة تُعبد من دون الله، وتفرض آراءها على الناس في

(١) دور حس (التوافق الاجتماعي) السلبي في كتاب (المنطق الإسلامي): ص ٢٣٥-٢٦٢، ط ١٩٩٢: ٢ عن دار البيان العربي، لبنان.

شتى الأمور، وحتى اختيار لون فستان زوجته، وتسريحة شعرها، وطبيعة العلاقة معها، يستمدده الإنسان الغربي من وسائل الدعاية والإعلام لا من اختيار حر مستقل.

أما كيف يؤدّي حس التوافق إلى الجريمة؟

فالأمر واضح جداً، إذ إنّ الفرد الذي فقد الاستقلال سوف يشارك مجتمعه في أخطائه حينما يتجه مركبه صوب الجريمة والضلال، فإذا فسد أخلاقياً فسد معه، وإذا شن حرباً ظالمة على الآخرين خاض في دمائهم كما يخوضون، وإذا جلس مجالس الغيبة والبهتان والنميمة أدلى بدلوه في هو الحديث ولغوه دون أن يملك شجاعة المعارضة.

وهنا عدّة روايات تبين التحرك ضد أي منكر^(١):

(١) ١- وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يخطب فعارضه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، حدثنا عن ميت الأحياء. فقطع الخطبة ثم قال: «مُنْكَرٌ لِّلْمُنْكَرِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ فَخَلَّالُ، الْخَيْرُ حَصَلَهَا كُلُّهَا، وَمُنْكَرٌ لِّلْمُنْكَرِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَتَارِكٌ لَّهُ يَدَيْهِ، فَخَصَلَتَانِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ، وَمُنْكَرٌ لِّلْمُنْكَرِ بِقَلْبِهِ وَتَارِكٌ لِّسَانِهِ وَيَدَيْهِ، فَخَلَّ مِنْ خِلَالِ الْخَيْرِ حَارٌّ، وَتَارِكٌ لِّلْمُنْكَرِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدَيْهِ، فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ». ثم عاد إلى خطبته. (مستدرک الوسائل، ج ١٢، ص ١٩٠)

٢- روي عن النبي صلى الله عليه وآله، أنّه قال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ شَيْءٌ مِّنَ الْإِيمَانِ». وفي رواية: «إِنَّ ذَلِكَ أَوْعَفُ الْإِيمَانِ». (مستدرک الوسائل، ج ١٢، ص ١٩٢)

٣- وجاء عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «حَسْبُ الْمُؤْمِنِ خَيْرًا إِنْ رَأَى مُنْكَرًا أَنْ يَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ نَبِيِّهِ أَنَّهُ لَهُ كَارِهِ». (مستدرک الوسائل، ج ١٢، ص ١٩٣)

- قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مَنْ تَرَكَ إِنْكَارَ الْمُنْكَرِ بِقَلْبِهِ وَلسَانِهِ وَيَدِهِ فَهُوَ مَيِّتٌ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ»^(١).
- وقال أبو جحيفة: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَغْلِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ جِهَادُ بَأْيَدِكُمْ، ثُمَّ بِاللِّسَانِ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفًا وَلَمْ يُنْكَرْ مُنْكَرًا قَلْبًا بِهِ فَجَعَلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ»^(٢).
- قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَلْقَى أَهْلَ الْمَعَاصِي بِوُجُوهٍ مُكْفَهَرَةٍ»، وقال أيضاً: «أَدْنَى الْإِنْكَارِ أَنْ تَلْقَى أَهْلَ الْمَعَاصِي بِوُجُوهٍ مُكْفَهَرَةٍ»^(٣).

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٠٤.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٠٦.

(٣) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤١٣.

٣

كلُّ شيءٍ خلق لهدف

قد يكون موقف السخرية نابعاً من حالة اللامبالاة والزعيم بأنّ الخلق عبث لا هدف له، ولا بدّ من معالجة هذا الموقف، بتذكير البشر بالحساب الدقيق ثمّ الجزاء الأوفى الذي ينتظره بعد الموت، وأنّ كلُّ شي خلق لهدف وبقدر.^(١)

ولقد كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يستعيذون بالله تعالى من

(١) في كتاب غرر الحكم ودرر الكلم، ص ١٣٦-١٤٤. ذكر أمير

المؤمنين عليهم السلام عدّة عواقب للهزل منها:

- «إخْذِرِ الْهَزْلَ وَاللَّعِبَ وَكَثْرَةَ الْمَزْحِ وَالضُّحْكِ وَالْتِرَاهَاتِ».
- «أَعْقَلُ النَّاسِ مَنْ غَلَبَ جِدُّهُ هَزْلَهُ وَاسْتَظْهَرَ عَلَى هَوَاهُ بَعْقَلِهِ».
- «غَلَبَةُ الْهَزْلِ تُبْطِلُ عَزِيمَةَ الْجِدِّ».
- «مَنْ كَثُرَ هَزْلُهُ أَسْجَهَلَ».
- «مَنْ جَعَلَ دَيْدَنَهُ الْهَزْلَ لَمْ يُعْرِفْ جِدُّهُ».
- «مَنْ كَثُرَ هَزْلُهُ بَطَلَ جِدُّهُ».
- «مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْهَزْلُ فَسَدَ عَقْلُهُ».
- «مَنْ قَلَّ عَقْلُهُ كَثُرَ هَزْلُهُ».
- «مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ لَعَطُهُ، وَ مَنْ كَثُرَ هَزْلُهُ كَثُرَ سَخْفُهُ».
- «ارْهَبْ تَحْذِرَ، وَلَا تَهْزِلْ فَتُحْتَقِرَ».

• «أحزم الناس من ملك جده هزله، وقهر رأيه هواه، وأعرب عن ضميره فعله، ولم يخدعه رضاه عن حظه، ولا غضبه عن كيدته».

هذه الحالة، فلقد كان من دعاء الإمام عليّ عليه السلام في الصحيفة العلوية: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجَهْلِ وَالْهَزْلِ، وَمِنْ شَرِّ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَمِنْ سَقَمٍ يَشْغَلُنِي، وَمِنْ صِحَّةٍ تُلْهِينِي»^(١).

قال الإمام عليّ عليه السلام: «خَطَبَ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ هُدِنَةٍ، وَأَنْتُمْ عَلَى ظَهْرٍ سَفَرٍ، وَالسَّيْرِ بِكُمْ سَرِيْعٍ، فَقَدْ رَأَيْتُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ، وَيُقْرَبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ، وَيَأْتِيَانِ بِكُلِّ وَعْدٍ وَوَعِيدٍ؛ فَأَعِدُّوا الْجَهَّازَ لِبُعْدِ الْمَجَازِ.

فقام مقداد بن الأسود فقال: يا رسول الله فما تأمرنا نعمل؟

فقال ﷺ: إِنَّهَا دَارٌ بَلَاءٍ وَابْتِلَاءٍ، وَانْقِطَاعٍ وَفَنَاءٍ؛ فَإِذَا التَّبَسَّتْ عَلَيْكُمْ الْأُمُورُ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفِّعٌ، وَمَا حِلٌّ مُصَدِّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ، وَمَنْ جَعَلَهُ الدَّلِيلَ يَدُلُّهُ عَلَى السَّبِيلِ، وَهُوَ كِتَابٌ تَفْصِيلٍ وَبَيَانٍ تَحْصِيلٍ، هُوَ الْفَضْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، وَلَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَظَاهِرُهُ حُكْمُ اللَّهِ، وَبَاطِنُهُ عِلْمُ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَظَاهِرُهُ وَثِيقٌ، وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ، لَهُ نُجُومٌ وَعَلَى نُجُومِهِ نُجُومٌ، لَا تُحْصَى عَجَائِئُهُ، وَلَا تُبْلَى غَرَائِبُهُ، فِيهِ مَصَابِيحُ الْهُدَى وَمَنَارُ الْحِكْمَةِ، وَدَلِيلٌ عَلَى الْمَعْرِفَةِ لِمَنْ عَرَفَ التَّصَفَةَ، فَلْيَرْعَ رَجُلٌ بَصْرَهُ، وَلْيَبْلِغْ

(١) الصحيفة العلوية، ص ٣١١.

النَّصْفَةَ نَظَرُهُ يَنْجُو مِنْ عَظْبٍ وَيَتَخَلَّصُ مِنْ نَشَبٍ، فَإِنَّ التَّفَكَّرَ
حَيَاةَ قَلْبِ الْبَصِيرِ كَمَا يَمْشِي الْمُسْتَبِيرُ فِي الظُّلُمَاتِ وَالنُّورُ
يُحْسِنُ التَّخَلَّصَ وَيُقِلُّ التَّرْتِيبَ»^(١).

فكل ما في هذه الحياة من الذرة إلى المجرة خلق لهدف معين،
والهزل وما يتصل به مخادعة للذات، قال الإمام عليّ عليه السلام:
«غَشَّكَ مِنْ أَرْضَاكَ بِالْبَاطِلِ وَأَعْرَاكَ بِالْمَلَاهِي وَالْهَزْلِ»^(٢).

وكفى باللامبالاة أثمًا علامة الجهل قال الإمام عليّ عليه السلام:
«كَثْرَةُ الْهَزْلِ آيَةُ الْجَهْلِ»^(٣). لماذا؟ لأنَّ «الْهَزْلُ فُكَاهَةٌ السُّفَهَاءِ،
وَصِنَاعَةُ الْجُهَالِ»^(٤)، «وَأَعْقَلُ النَّاسِ مَنْ غَلَبَ جِدُّهُ هَزْلَهُ وَاسْتَظْهَرَ
عَلَى هَوَاهُ بَعْفَلِهِ»^(٥).

(١) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٣٤.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، ج ١، ص ٣٤٩.

(٣) عيون الحكم والمواعظ، ج ١، ص ٢٨٩.

(٤) أعلام الدين في صفات المؤمنين، ج ١، ص ٣١١.

(٥) غرر الحكم ودرر الكلم، ج ١، ص ٢١٦.

٤

الصبر والاستقامة

لقد كان المؤمنون في الدنيا عرضة لأصناف المشاكل والفتن والسخرية والضحك و.. ولكنهم استقاموا وصبروا فكان جزاؤهم الجنة ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(١).

ويبدو من الآية أن من أعظم الصبر الصبر على تجريح الشخصية، قال الإمام عليّ عليه السلام: «**اِطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ**»^(٢).

ولذلك نجد أبرز صفات المؤمنين حقاً أنهم لا يابهون باللوم ولا يخافونه.

قال الإمام عليّ عليه السلام: «**عَلَيْكَ بِمَنْهَجِ الْإِسْتِقَامَةِ؛ فَإِنَّهُ يَكْسِبُكَ الْكِرَامَةَ، وَيَكْفِيكَ الْمَلَامَةَ**»^(٣).

(١) سورة المؤمنون، الآية ١١١.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، ج ١، ص ٧٩.

(٣) تصنيف غرر الحكم، ص ٩٣.

لقد كان الصبر وكظم الغيظ من أهم الأعمال وأحبها إلى الله، فعن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: «مَا مِنْ جُرْعَةٍ يَتَجَرَّعُهَا عَبْدٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ جُرْعَةٍ غَيْظٍ يَتَجَرَّعُهَا عَبْدٌ يُرَدِّدُهَا فِي قَلْبِهِ إِلَّا مَا بِصَبْرٍ وَإِنَّمَا بِحِلْمٍ»^(١).

وهكذا كانت سيرة الأنبياء والمرسلين والأئمة عليهم السلام وكلّ الدعاة والرساليين على مرّ التاريخ أن يجابهوا من قبل الناس بالسخرية تارة وباللوم وبالكلام الفاحش أخرى.

فقد روي عن محمد بن جعفر وغيره، قالوا: وقف علي بن الحسين عليه السلام رجلٌ من أهل بيته، فأسمعه وشتمه، فلم يكلمه، فلما انصرف قال عليه السلام جلسائه: «قَدْ سَمِعْتُمْ مَا قَالَ هَذَا الرَّجُلُ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ تَبْلُغُوا مَعِيَ إِلَيْهِ حَتَّى تَسْمَعُوا رَدِّي عَلَيْهِ».

فقالوا له: نفعل، ولقد كنّا نحبّ أن نقول له ونقول.

قال: فأخذ عليه السلام نعليه ومشى وهو يقول: «وَأَلْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْغَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»^(٢)، فعلمنا أنّه لا يقول شيئاً.

فخرج حتى أتى منزل الرجل فصرخ به، فقال: «قُولُوا لَهُ:

(١) المحاسن، ج ١، ص ٢٩٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٣٤.

هَذَا عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ»، فخرج إلينا متوثباً للشرِّ، وهو لا يشكُّ أنَّه إنَّما جاء مكافئاً له على بعض ما كان منه، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: «يَا أَخِي، إِنَّكَ كُنْتَ وَقَعْتَ عَلَيَّ أَنْفَاءً وَقُلْتَ، فَإِنْ كُنْتَ قَدْ قُلْتَ مَا فِيَّ فَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْهُ، وَإِنْ كُنْتَ قُلْتَ مَا لَيْسَ فِيَّ فَعَفَّرَ اللَّهُ لَكَ»، قال الراوي: فقبل الرجل بين عينيه، وقال: بل قلت فيك ما ليس فيك، وأنا أحقُّ به.

قال الرَّاوي للحديث: والرَّجل هو الحسن بن الحسن^(١).

ولا يعني كظم الغيظ أن يعيش الذلَّة والمهانة بل هو عزٌّ له في الدنيا والآخرة؛ فمن كبرت أهدافه كبرت نفسه ووسع صدره، ف«أَلَّةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ»^(٢).

وقد روي عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام: «مَا مِنْ عَبْدٍ كَظَمَ غَيْظًا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عِزًّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وَأَثَابَهُ اللَّهُ مَكَانَ غَيْظِهِ ذَلِكَ»^(٣).

وقد طلب النبي الأكرم محمد عليه السلام من الله تعالى سعة الصدر والانشراح كما طلبها النبي موسى عليه السلام من قبل

(١) البرهان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٦٨٩.

(٢) غرر الحكم، ص ٦٧.

(٣) تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، ج ١٢، ص ١٧٦.

في قوله: «اللَّهُمَّ أَخِي مُوسَى سَأَلَكَ فَقَالَ: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأُحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَرْزِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣١﴾﴾، فَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِ قُرْآنًا نَاطِقًا: ﴿..سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصُلُونَ إِلَيْكُمَا..﴾ (٢)، اللَّهُمَّ وَأَنَا مُحَمَّدٌ صَفِيُّكَ وَنَبِيُّكَ فَاشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي .. وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي عَلِيًّا أَخِي، أَشَدُّ بِهِ أَرْزِي».

قال أبو ذر: فوالله ما استتم الكلام حتى نزل عليه جبرائيل من عند الله تعالى، فقال: «يَا مُحَمَّدُ اقْرَأْ، قَالَ: وَمَا أَقْرَأُ، قَالَ: اقْرَأْ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾» (٣).

(١) سورة طه، الآيات ٢٥-٣٢.

(٢) سورة القصص، الآية ٣٥.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، ج ١، ص ١٥٦.

٥

محاربة القسرية وتعميق اليقين

الساخرون يمدعون أنفسهم والآخرين بظاهر من العلم ويشيعون - بين الناس - السخرية والاستهزاء، ويبعدونهم عن الحقائق الناصعة، نجد في مقابل ذلك القرآن الكريم يأمر بالعلم والتعلم وطلب اليقين، حتى أن أول آية من آياته أمرت الإنسان بالقراءة وطلب البركة والتعمق.

ولذلك ندد الإمام عليّ عليه السلام بالقسريين الذين لا حظ لهم بالعلم؛ فقسم الناس ثلاثة أصناف قائلًا: «النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاةٌ؛ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِيٍّ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيْقٍ»^(١). قال ابن منظور: (والهَمْجُ: جمع هَمْجَةٍ، وهي ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحُمُرِ وأعينها .. وفي حديث عليّ عليه السلام: «وسائر الناسِ هَمَجٌ رَعَاةٌ»^(٢)؛ شَبَّهَ

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٤٧.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩٧، ص ٣٧.

عليّ عليه السلام، رَعَاكَ النَّاسَ بِالْبَعْوِضِ^(١).

ومن صفات هؤلاء أنهم ينعقون مع كل ناعق، ويتفاعلون مع الساخرين والمستهزئين، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْبُذِيِّ يُنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٢).

وقد وصف سبحانه هؤلاء بالصم البكم العمي، لأنهم لا يبصرون النور، ولا يهتدون إلى السبيل، وكل ذلك سببه جهلهم ورفضهم العلم والتعلم، وبغضهم للعلماء، لذلك يقول تعالى: ﴿حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاءً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣).

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِذَا أُرْذِلَ اللَّهُ عَبْدًا حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ»^(٤).

وقد صنّف الإمام الصادق عليه السلام الناس على صنفين فجمع بين العالم والمتعلم، وجعل الهمج الصنف الهالك، فقال عليه السلام: «النَّاسُ اثْنَانِ؛ عَالِمٌ وَمُتَعَلِّمٌ، وَسَائِرُ النَّاسِ هَمَجٌ، وَالْهَمَجُ فِي النَّارِ»^(٥).

(١) لسان العرب، ج ٢، ص ٣٩٣.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٧١.

(٣) سورة البقرة، الآية ٧.

(٤) نهج البلاغة، الحكمة ٢٨٨.

(٥) الخصال للشيخ الصدوق، ص ٣٩.

وقال رسول الله ﷺ: «اغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ لَاهِيًا مُتَلَذِّذًا»^(١).

وقد يصبح هولاء الغوغاء أداة لقتل المصلحين وإجهاض مشروع النهضة في الأمة، فقد روي عن عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن ياسين قال: سمعت سيدي أبا الحسن علي بن محمد بن الرضا عليه السلام بسر من رأى يقول: «الغوغاء قتلة الأنبياء، والعمامة اسم مشتق من العمى، ما رضي الله لهم أن شبّههم بالأنعام حتى قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾»^(٢).

وقد حارب أئمة أهل البيت عليهم السلام حالة القشريّة والجهل بين أتباعهم بحيث أنّ الإمام الصادق عليه السلام يقول: «لَوَدِدْتُ أَنَّ أَصْحَابِي ضَرَبَتْ رُؤُوسَهُمْ بِالسَّيَاطِحِ حَتَّى يَتَفَقَّهُوا»^(٣).

فالعلم الحقّ يهدف إلى هداية الإنسان وإيصاله إلى شاطئ الحقيقة مباشرة ليشهد بنفسه ما ينفعه، في حين أنّ الآخر صاحب ثقافة السخرية يحاول إبعاد الناس عن وعي الحقائق ويهيئ لهم حشواً من أفكاره بدلاً عن المعرفة.

ومن هنا رغب القرآن الإنسان في العلم وطلب الحقيقة

(١) الكافي، ج ١، ص ٣٤.

(٢) الأمالي للطوسي، ص ٦١٣.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٣١.

بوسيلة الوحي والعقل والوجدان، كذلك نجد التيقُّظ
والابتعاد عن الغفلة، وليس بمتعلِّمٍ وبيالغٍ حكمة الوجود
من كان غافلاً.

٦

التذكير بمصير المستهزئين

كي يطهر البشر قلبه من دوافع السخرية والاستهزاء فإن علينا أن نذكره (كما عليه هو أن يتذكر) مصير المستهزئين بالحق، المعرضين عن آياته كيف أتهم دمروا شرّ تدمير، وقد ذكرنا سابقاً العواقب والنتائج الوخيمة التي تلحق الساخرين في الدنيا والآخرة.

وما دام الاستهزاء موجوداً، فيعني ذلك أن البشر غير مهتم بالحق، فإنه لا ينتفع بأية آية، بل يحاول أن يتشبث ببعض الحجج الواهية حتى يردّ الحق وآياته، ومتى ما فشلت حجة من حججه، فإنه يسارع إلى حجة واهية أخرى.

فلو جاءت الآيات على شكل كتاب منزل من السماء، فإنه يقول: إنها سحر، ثم يطالب ربه بأن ينزل عليه الملائكة، ولكن هل هذا ينفعه؟ كلا، لأن الملك عندما يأتيه مثلاً فإنما يأتيه بصورة إنسان أو شبهه، ولكن ما دام يكفر بالرسول فكيف لا يكفر بالملائكة؟!

ولقد كان كفّار المشركين في عهد رسول الله ﷺ يسخرون منه ومن الآيات النازلة عليه، فقد ورد في الأثر عن ابن عباس: «إنّ الوليد بن المغيرة أتى قريشاً، فقال: إنّ الناس يجتمعون غداً بالموسم، وقد فشا أمر هذا الرجل في الناس، وهم يسألونكم عنه فما تقولون؟»

فقال أبو جهلٍ: أقول إنّهُ مجنونٌ، وقال أبو لهبٍ: أقول إنّهُ شاعرٌ، وقال عقبة بن أبي معيطٍ: أقول إنّهُ كاهنٌ، فقال الوليد: بل أقول هو ساحرٌ يفرّق بين الرجل والمرأة وبين الرجل وأخيه وأبيه.

فأنزل الله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾، وقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾.

وكان النبيّ ﷺ يقرأ القرآن فقال أبو سفيان والوليد وعتبة وشيبة للنضر بن الحارث: ما يقول محمدٌ؟ فقال أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، فنزل: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾^(١).

وروي عن أبي ذر: كان النبيّ ﷺ في سجوده فرفع أبو لهبٍ حجراً يلقيه عليه، فَثَبَّتَ يَدُهُ فِي الْهَوَاءِ، فَتَضَرَّعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وعقد الإيمان لوعوفي لا يؤذيه، فلمّا برأ قال: لأنت ساحرٌ

(١) بحار الأنوار، ج ١٨، ص ١٩٨.

حاذق، فنزل ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^(١).

ولقد كان المشركون يقدمون النبي ﷺ للناس على أنه ساحرٌ كذابٌ سخرية منه وتنفيراً للناس من حوله؛ فقد روي أنه قدم أسعد بن زرارة، وذكوان بن عبد قيس في موسمٍ من مواسم العرب، وهما من الخزرج، وكان بين الأوس والخزرج حربٌ قد بغوا فيها دهماً طويلاً، وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وكانت آخر حرب بينهم يوم بعثت، وكانت للأوس على الخزرج، فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكة في عمرة رجبٍ يسألون الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة، فنزل عليه فقال له: إنه كان بيننا وبين قومنا حربٌ، وقد جئناك نطلب الحلف عليهم.

فقال له عتبة: بعدت دارنا من داركم ولنا شغلٌ لا نتفرغ لشيءٍ.

قال: وما شغلكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟

قال له عتبة: خرج فينا رجلٌ يدّعي أنه رسول الله، سفّه أحمالنا، وسبّ آلهتنا، وأفسد شبّاننا، وفرّق جماعتنا.

فقال له أسعد: من هو منكم؟

(١) المناقب، ج ١، ص ٧٧.

قال: ابن عبدالله بن عبد المطلب، من أوسطنا شرفاً،
وأعظمتنا بيتاً.

وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من
اليهود الذين كانوا بينهم -النضير وقريظة وقينقاع-: أن هذا
أوان نبيٍّ يخرج بمكة يكون مهاجره بالمدينة، لنقتلنكم به
يا معشر العرب، فلما سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان
سمع من اليهود، قال: فأين هو؟

قال: جالسٌ في الحجر، وإيهم لا يخرجون من شعبهم إلا في
الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلمه فإنه ساحرٌ يسحر بكلامه.
وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشمٍ في الشعب.

فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمرٌ، لا بد لي أن أطوف
بالبيت؟

قال: ضع في أذنيك القطن.

فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه بالقطن، فطاف
بالبيت ورسول الله ﷺ جالسٌ في الحجر مع قومٍ من بني
هاشمٍ، فنظر إليه نظرةً فجازه، فلما كان في الشوط الثاني قال
في نفسه: ما أجد أجهل مني، أيكون مثل هذا الحديث بمكة
فلا أتعرفه حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم؟

ثم أخذ القطن من أذنيه ورمى به، وقال لرسول الله ﷺ: أنعم صباحاً.

فرفع رسول الله ﷺ رأسه إليه وقال: «قَدْ أَبَدَلْنَا اللَّهُ بِهِ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا، تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ».

فقال له أسعد: إنَّ عهدك بهذا لقريب، إلى ما تدعوا يا محمد؟

قال: «إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ، وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذِكْرُكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ، لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا، وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذِكْرُكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ».

فلما سمع أسعد هذا قال له: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك رسول الله..^(١)

والحل الوحيد للمعرض عن آيات الحق، أو المستهزئ بها هو أن يتذكر مصير المكذبين بها والمعرضين عنها، وذلك بالسير في الأرض، لأنَّ الحقَّ ينتصر من المكذبين والمعرضين.

(١) إعلام الوری بأعلام الهدی، ج ١، ص ١٣٦.

٧

التقيّد بالأحكام الشرعيّة

لكي يبني الإسلام صرحاً اجتماعياً متيناً يوصينا بأن نكنّ الاحترام الكافي لإخوتنا؛ فلا يحتقر قوم قوماً آخرين، ولا نساء نساء أخريات، وينهانا القرآن عن اللمز وتبادل الألقاب السيئة وسوء الظن والتجسس والغيبة، ويأمرنا بالتقوى لننال الرحمة والتوبة.

وهنا نذكر بعدة أحكام شرعيّة في هذا الجانب:

- يجب أن يسود الاحترام المتبادل علاقات المؤمنين، من هنا فلا تجوز السخرية والاستهزاء، لأنّه انتهاك لحرّمات الآخرين.
- ولأنّ السخرية تعود إلى الإحساس بالتعالي وازدراء الآخرين، فقد نهى الدين عن ذلك؛ قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَمَ ثَلَاثَةً فِي ثَلَاثَةٍ: كَتَمَ رِضَاهُ فِي طَاعَتِهِ، وَكَتَمَ سَخَطُهُ فِي مَعْصِيَتِهِ، وَكَتَمَ وَلِيَّهُ فِي خَلْقِهِ،

فَلَا يَسْتَحِخِنَ أَحَدُكُمْ شَيْئاً مِّنَ الطَّاعَاتِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّهَا رَضِيَ اللَّهُ، وَلَا يَسْتَقِلَّنْ أَحَدُكُمْ شَيْئاً مِّنَ الْمَعَاصِي فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّهَا سَخَطَ اللَّهُ، وَلَا يُزِرُّنَّ أَحَدُكُمْ بِأَحَدٍ مِّنْ خَلْقِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيُّهُمْ وَلِيُّ اللَّهِ»^(١).

• لا يجوز اللمز، وهو تعيير الآخرين بعيوبهم، فاللمزة خطوة في طريق إفساد العلاقات الاجتماعية، وجرثومة الصراعات الخطيرة.

• نهى الدين عن تبادل الألقاب السيئة، وفي الروايات أنه يستحب أن ينادي الأخ أخاه بأحب الأسماء إليه، قال رسول الله ﷺ: «مِنْ حَقِّ الْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ أَنْ يُسَمِّيَهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ عَلَيْهِ»^(٢).

ونستلهم من هذا الحكم ضرورة تطهير اللسان من الكلمات البذيئة بشكل عام، وتلطيف الأجواء الاجتماعية بالكلمات الطيبة الحسنة.

• لا يجوز الاعتداء على الحقوق الاجتماعية للآخرين، إذ إنها ليست بأقل حرمة من الحقوق المالية، ومن يعتدي على عرض إخوانه كمن يعتدي على أنفسهم،

(١) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ١٤٧.

(٢) تفسير القرطبي، ج ١٦، ص ٢٣٠.

وأموالهم، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مِنْ
 الْمُسْلِمِ دَمَهُ وَمَالَهُ وَعِرْضَهُ وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ السُّوءَ»^(١).

(١) التشريع الإسلامي مناهجه ومقاصده، للسيد محمد تقي المدرسي،
 ج ٨، ص ٣٨٣.

الفهرس

- تقديم آية الله العظمى المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي... ٧
مقدمة الكتاب..... ١٥

الفصل الأول:

- معنى السخرية و الاستهزاء ١٩
-
- خلاصة الفصل الأول ٢١
ما هي السخرية والاستهزاء؟..... ٢٣
ما الفرق بين السخرية والاستهزاء؟ ٢٥

الفصل الثاني:

- أسباب السخرية و الاستهزاء ٢٧
-
- خلاصة الفصل الثاني ٢٩
الكفر..... ٣٤
النفاق..... ٣٦
الكبر و الجهل..... ٤٣
عدم احترام الآخرين..... ٤٦

الفصل الثالث:

أنواع السخرية و الاستهزاء

٥٣
٥٥ خلاصة الفصل الثالث
٦٠ السخرية والاستهزاء بالربّ تعالى
٦٢ السخرية والاستهزاء بالأنبياء والمرسلين ﷺ
٦٣ نماذج من الأنبياء الذين تعرّضوا للسخرية
٦٣ نبيّ الله نوح ﷺ
٦٥ نبيّ الله إبراهيم ﷺ
٦٧ نبيّ الله لوط ﷺ
٦٧ نبيّ الله موسى ﷺ
٧٥ النبيّ محمد ﷺ
٧٧ السخرية والاستهزاء بالإمام المهدي ﷺ
٨٠ السخرية والاستهزاء بالآيات والكتب السماوية
٨٣ كانوا يجحدون بآيات الله
٨٦ فرحوا بما عندهم من العلم
٨٨ السخرية والاستهزاء بالدين وما يتصل به
٨٩ لا توالِ هؤلاء!
٩١ السخرية والاستهزاء بالصلاة
٩٢ السخرية والاستهزاء بالمساجد
٩٤ السخرية والاستهزاء بالأحكام الشرعية
٩٦ السخرية والاستهزاء بالحقائق
٩٩ السخرية والاستهزاء من المؤمنين
١٠١ زخارف الدنيا سبب السخرية
١٠٣ السخرية والاستهزاء بالعذاب

الفصل الرابع:

وسائل السخرية و الاستهزاء

- ١٠٥
- ١٠٧ خلاصة الفصل الرابع
- ١١٠ السخرية و الاستهزاء بالقول و الفعل
- ١١٤ السخرية و الاستهزاء بالضحك
- ١١٨ السخرية و الاستهزاء بالهمز و اللمز و الغمز
- ١٢٣ السخرية و الاستهزاء بالنبز

الفصل الخامس:

نتيجة السخرية و الاستهزاء

- ١٢٥
- ١٢٧ خلاصة الفصل الخامس
- ١٣٣ و أد المسؤوليّة
- ١٣٥ قسوة القلب
- ١٣٦ تدمير العلاقة بين الإنسان و أخيه
- ١٣٨ السخرية تقضي على التنافس
- ١٣٩ عدم الانتفاع بآيات الله تعالى
- ١٤١ السخرية و الاستهزاء يحجب نور الوحي
- ١٤٣ يحيط بصاحبه في الآخرة
- ١٤٥ حجاب بين عقل الإنسان و بين الهداية
- ١٤٦ التعالي على المجتمع
- ١٤٨ خور العزيمة و ضعف الإرادة
- ١٥٠ عدم احترام الأبناء لآبائهم و العكس
- ١٥١ مفارقة الإيمان

الفصل السادس:

عاقبة السخرية و الاستهزاء

١٥٣

- ١٥٥ خلاصة الفصل السادس
- ١٦٠ إنها تردي صاحبها في الهلكة
- ١٦٢ تكون لهم عاقبة السوأى
- ١٦٥ تتجسد أعمالهم السيئة يوم القيامة
- ١٦٧ توصل صاحبها إلى الحسرة في يوم القيامة
- ١٦٩ سخرية الربّ ممن يسخر بالمؤمنين
- ١٧١ لهم الويل
- ١٧٣ توجب سُخرية المؤمنين من الكافرين يوم القيامة
- ١٧٥ عاقبة السخرية من الأنبياء ﷺ نزول العذاب

الفصل السابع:

مسؤوليتنا تجاه السخرية و الاستهزاء

١٧٩

- ١٨١ خلاصة الفصل السابع
- ١٨٤ التوجّه إلى الله
- ١٨٧ مقاطعة برامج السخرية و الاستهزاء
- ١٩٤ كلّ شيء خلق لهدف
- ١٩٧ الصبر و الاستقامة
- ٢٠١ محاربة القشريّة و تعميق اليقين
- ٢٠٥ التذكير بمصير المستهزئين
- ٢١٠ التقيد بالأحكام الشرعيّة